السفير في أصول التفسير

بقلم

الشيخ / عبد الحكيم محمد سرور

تحقيق

الدكتور / عبد الرحمن بن عبد الرحمن شميلة الأهدل

المدرس بمعهد الحرم المكي الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله وعلى الآل والأصحاب والأتباع ، والسالكين على منهاجهم في كل حقبة ومكان وبعد / فإن أجل العلوم وأشرفها ، وأهم المعارف وأسناها علوم القرآن الكريم .

هذه العلوم التي تخدم مباحثها كتاب الله الفرقان ، وتكشف موضوعاتها حقائق التأويل وتلمس أبوابها أسرار التنزيل { الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد }[1] .

وعلوم القرآن في الواقع تأبى على الضبط وتستعصى على العد وقد أغترف العلماء في كل زمان ومكان من بحر القرآن الزاخر ، الذي لا يتناهى عمقه ، ولا يدرك شأو معارفه ولا تتحدد مرامي أطرافه .

وقد تسابق الموفقون من علماء هذه الأمة إلى خدمة كتاب الله العزيز ، وتبارى المحققون في ميدان البحث والتأليف في علومه فأرسلوا أشعة الايضاح والبيان في كل ميدان كل من هولاء النخبة الكرام النجباء بحث جانباً وعنى بناحية من نواحيه ، فآضت المكتبة الإسلامية تتألق في سما العليا وتطأ هام الثريا بثروتها اليتيمة وجواهرها الثمينة وكنوزها القيمة ، إذ ضمت بين جناحيها عصارة قرائح الأذكياء وثمرة جهود العباقرة الأتقياء من تلك العلوم التي ترتع في رياضها عقول الألباء ، ويكرع من حياضها طلبة العلم الشرعي فما أرفع هذه العلوم وأسناها ، وما أطيب أصولها وأنضر فروعها .

أندى على الأكباد من قطر الندى وألذّ في الأجفان من سنة الكرى

---

١ ــ سورة فصلت : الآية : (٤٢) .

قال الحرالي[١] في جزء سماه : "مفتاح الباب المقفل لفهم الكتاب المترل" ما نصه "أكمل العلماء من وهبه الله تعالى فهماً في كلامه ووعياً " عن كتابه" وتبصره في الفرقان، وأحاطه بما شاء من علوم القرآن ففيه تمام شهود ما كتب الله لمخلوقاته من ذكره الحكيم ، بما يزيل بكريم عنايته من خطأ اللاعبين إذ فيه كل المعلوم[٢] .

قال ابن مسعود ﷺ [٣] " من أراد العلم فليثور القرآن[٤] فإن فيه علم الأولين والأخرين[٥] .

وكما أسلفنا القول فإن لدينا موسوعات متنوعة ، حبرها علماء متخصصون بكتاب الله تعالى كعلم القراءات ، وعلم التجويد ، وعلم النسخ العثماني ، وعلم التفسير ، وعلم الناسخ والمنسوخ وعلم غريب القرآن ، وعلم إعجاز القرآن ، وعلم إعراب القرآن وغير ذلك من العلوم التي كانت بحق مصدقة ومحققة لقوله تعالى {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون[٦] } .

وبين يدي الآن مذكرة غنية ومباحث مهمة في علم أصول التفسير ، لمؤلفها الشيخ عبد الحكيم محمد سرور .

وهي في الحقيقة تلبي رغبة أبنائنا الطلبة المبتدئين في تقريب الأسلوب وتعبيد السبيل نائية عن التطويل مبرأة عن وصمة الإخلال بالمقصود ، وهي على إيجازها نافعة

---

١ ــ الحرالي : بفتح الحاء والراء المهملتين وبعد الألف لام مشددة مكسورة نسبة إلى حرالة قرية من أعمال مرسية ، أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسين التجيبي صاحب التفسير العظيم اعتمد عليه البقاعي في تفسيره ، وله ايضاح شرح الموطأ والشفاء وغيرها ، توفي سنة سبع وثلاثين وستمائة هجرية : أنظر شذارات الذهب (١٨٩/٥) النجوم الزاهرة ٣١٧/٦) تاج العروس مادة حرل .

٢ ــ انظر : البرهان في علوم القرآن (٥/١) .

٣ ــ ستأتي ترجمته صفحة : ( ) .

٤ ــ أي : لينقر عنه ويفكر في معانيه وتفسيره وقراءته ، انظر : النهاية لابن الأثير (٢٢٩/١) .

٥ ــ قال الهيثمي قي الزوائد (١٦٥/٧) رواه الطبراني بأسانيد ، ورجال أحدهما رجال الصحيح .

٦ ــ سورة الحجر الآية : ٩ .

للمبتدئين ومذكرة لمن فوقهم ، لاسيما وقد اشتملت على شتيت الفوائد ، ومنثور المسائل مع حسن في التأليف ، إبداع في التنسيق ، ووضوح في الأسلوب وإشـــراق في التعبـــير فجزى الله مؤلفها بما أهله .

هذا ولقد كان لأخينا الموفق الشيخ صالح بن محمد المقوشي ـمدير معهد الحـــرم المكي الشريفـ اليد الطولى في نشر هذا الكتاب بطبعته الجديدة ، فقد عهد إلي حفظـــه الله أن أكتب عليه تعليقات وجيزة عند الاقتضاء تعنى بتخريج الأحاديث والآثار وترجمـــة الرجال وشرح غامض الألفاظ وإيضاح المشكل وتوثيق النصوص ، فما وسعني إلا تلبيـــة هذه الرغبة النافعة فكتبت ما لاح لي من تعليق يعين على فهم هذه المذكرة ومن الله تعالى أستمد المعونة والسداد .

المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب للمؤلف :

{الحمد لله الذيأنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيماً[١]} والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله ورسوله الذي حمل للناس كتاب الله الكريم وقرآنه العظيم ليكون هداية للفرد "ولمجتمع وعلى آله وأصحابه[٢]" الذين بذلوا جهدهم في حفظه وكانوا رضوان الله عليهم مثلاً صادقاً لتحقيق ما وعد الله به {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون[٣]} .

والأمة الإسلامية أحرص الأمم على الاحتفاظ بكتابها وأصلبها عوداً في الذود عنه مع صدق عزيمة وقوة إرادة .

ومن ثم وجدناهادائماً معنية بدارسة القرآن وعلومه دراسات شاملة جامعة ، ومن مظاهر هذه العناية الحميدة الاهتمام بدارسة مادة أصول التفسير في معهد الرياض وفروعه والمملكة العربية السعودية فيها الآن نهضة شاملة وتقدم موفور وارتفاء بالعلوم ، وإذكاء للأفكار .

وفي وسط هذه النهضات بعث جديد للمجد الإسلامي وإحياء للبحوث الإسلامية وهذا المشعل يحمله هذا النوع الجيد من عوامل النهضة العلمية ، المعاهد الدينية المنبثة في أنحاء المملكة تلكم التي ستكون مصابيح النور وينابيع العرفان في هذه البلاد المجد "التالد" وسيتخرج فيها شباب ينفعون وطنهم ويشتركون في إنهاض شعبهم ، وذلك بفضل الله ثم بفضل توجيه الرئيس العام سماحة المفتى الأكبر الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ الذي لا يألوا جهداً في النهوض بها ، والعمل بكافة الوسائل على تقدمها لتؤتي أكلها ويجني الناس ثمرها .

---

١ ــ سورة الكهف الآية : (١) .

٢ ــ ما بين القوسين زيادة اقتضاها المقام وهي ممسوحة من النسخة التي بأيدينا .

٣ ــ سور الحجر : الآية (٩) .

٤ ــ القديم .

ولما كان لي شرف تدريس مادة أصول التفسير ــوكانت موضوعات المنهج حبيبة إلى النفس لأنها دراسة لكتاب الله الكريم "بيد[١] أنها "شتات-[٢] في كتب كثيرة ومراجع عدة مما لا يتيسر معه للطالب المراجعة والاستذكارــ كان لزاماً أن يبسط له الأمر وأن ييسر له الإطلاع ، ولذا فقد أخذت أدون خلاصة ما ألقيه على أبنائي الطلاب في كناشة[٣] صغيرة تحريت فيها الصواب وحرصت على ألا "ألج[٤]" أبواب الخلاف كثيراً حتى لا يتسع الأمر عليهم فلما أرادت المشيخة طبع الكتب العلمية للطلاب هذا العام عهد إلى فضيلة الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ "المدير العام للمعاهد والكليات الذي عرف بالنشاط "الجم[٥] والحرص على مصلحة العلم والذي لا يدخر وسعاً في سبيل المعونة على النهوض بالحركة العلمية الدينية ــ بأن أقدم كتاباً في أصول التفسير فقدمت ما كتبت وكان أن وقع الإختيار على كتابي هذا الذي جعلته "السفير[٦] بيني وبين أبنائي الطلبة في هذه المادة وها هو الكتاب يصل إلى أيديهم بعونه تعالى وقد بثثته صادق نيتي وقوة إخلاصي ، فإن كان قد قاربت "الهدف[٧] وحققت القصد فذلك فضل الله ، وإن يكن من قصور فالكمال لله .

هذا وقد جعلت في آخره بعض الأسئلة للتمرين والتدريب (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ؟ وما توفيقي إلا بالله[٨] .

---

١ ــ بيد : كغير وزنا ومعنى .

٢ ــ شت الأمر شتاتاً : تفرق .

٣ ــ كراسه .

٤ ــ أدخل .

٥ ــ الكثير .

٦ ــ السفير : الرسول : المصلح بين القوم

٧ ــ الغرض .

٨ ــ سورة هود ، الآية (٨٨) .

منهج الدراسة

يدرس للطلاب :

١ ــ تعريف أصول التفسير .

٢ ــ تعريف القرآن .

٣ ــ معنى الوحي ، وحي الله إلى ملائكته ورسله وحي الملك إلى الرسل .

٤ ــ معرفة المكي والمدني ومميزات كل منهما .

٥ ــ معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل .

٦ ــ معرفة أسباب النزول وفوائده ، موقف المفسر من أسباب النزول إذا تعددت.

٧ ــ حكمة نزول القرآن "منجماً"[١] .

٨ ــ جمع القرآن وترتيبه .

٩ ــ حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف .

١٠ــ ما اشتهر من القراءات وأسباب ذلك .

١١ــ مشاهير القراء .

---

١ ــ مفرقاً .

أصول تفسير القرآن

مقدمة :

تفسير القرآن الكريم واحد من علومه الكثيرة التي منها علم القراءات ، والرسم أسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ، والمتشابه ، والإعجاز وغير ذلك مما له تعلق بالقرآن الكريم .

علوم القرآن وتأريخ ظهورها

وقبل أن نبدأ الكلام عن أصول التفسير نقدم فكرة عن علوم القرآن فنقول : ــوالله المستعانــ إن مادة علوم القرآن هي عبارة عن المسائل التي تبحث عن أحوال القرآن من حيث النزول وكيفية النطق به وعن أدائه وكتابته وجمعه وترتيبه .

متى كان ظهور هذا العلم

بأسلوب العرب ولغتهم نزل القرآن الكريم ، ولقد فهموه وعرفوا معانيه وتعلموا ناسخه ومنسوخه ، وكيفية النطق به وجمعه وترتيبه ومن طريق الرواية عن الصحابة ثم عن التابعين ورواية الخلف عن السلف "تدوولت[١]" هذه الأبحاث ونقلت ومازالت كذلك تنقل جيلاً بعد جيل[٢] حتى بدأ التدوين في أنواع علوم القرآن ، وهذه الأنواع كلها كانت محل عناية الباحثين والمؤلفين فقد كتب العلماء في كل نوع كتباً كان الكتاب الواحد يستقضي فيه مؤلفه جميع آيات القرآن وأجزائه التي اشتركت في موضوع واحد ، فمثلاً "الإمام عبيد القاسم بن سلام[٣]" .

حين كتب في الناسخ والمنسوخ ، تتبع جميع آيات القرآن وبين الناسخ والمنسوخ ، ونرى من كتب مثلاً "في أقسام القرآن" "جمع قسم" يتعرض لذكر أنواع القسم في القرآن وذكر جزئياتها وهكذا كان الباحثون والمؤلفون يكتبون في نوع أو أكثر مع استيعاب الجزئيات التي في القرآن والتي اشتركت في جهة واحدة من البحث كجهة النسخ أو أسباب النزول وحتى "القرآن[٤] السادس لم تجمع الأنواع المتعلقة بالقرآن في كتاب واحد وفي نفس هذا القرن وضع أحد "المؤلفين[٥]" كتاباً سماه "فنون الأفنان في علوم القرآن"

---

١ ــ بالبناء للمجهول أي تداولها الناس .

٢ ــ يقال للصنف من الناس جيل فالترك جيل والروم جيل ، والمقصود تداولها المسلمون في كل عصر .

٣ ــ القاسم بن سلام بتشديد السين الهروي الأزدي صاحب التصانيف العديدة والمؤلفات المفيدة ، توفي سنة أربع وعشرين ومائتين هجرية .

٤ ــ القرن : مائة سنة ، وقيل مائة وعشرون وقيل ثمانون أو خمسون أو أربعون أو ثلاثون وقيل غير ذلك ورجح مجد الدين الفيروز أبادي مائة سنة وهو ما أراده المؤلف :
أنظر : القاموس المحيط (٢٥٩/٤) لسان العرب (٣٣٤/٣٣٣/١٣) .

٥ ــ هو جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد المشهور بابن الجوزي علامة عصره وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ ، والجوزي نسبة إلى محله في البصرة تسمى محلة الجوز وقيل غير ذلك ، توفي سنة سبع وتسعين وخمسمائة هجرية .

انظر : تذكرة الحفاظ (١٣٤٢/٤) البداية والنهاية (٣١/١٣) .

وفي القرآن " وضع آخر"[١] كتاباً "سمي (المرشد[٢] الوجيز في علوم تتعلق بالقرآن العزيز" وهذا الكتابان وإن كان لصاحبهما فضل السبق في جمع بعض الأنواع في كتاب واحد ووضع الأساس لما ألف بعد ذلك في علوم القرآن إلا أنهما لم يشتملا إلا على نبذة قصيرة وطائفة قليلة بالنسبة لما أتى بعدهما من المؤلفات : والقرآن الثامن هو عهد ازدهار التأليف في علوم القرآن والعناية بها فقد ألفت فيه جامعة على غرار ما ألف في علوم الحديث وممن ألف في هذا القرن .

١ ــ الكافيجي[٣] ألف كتاباً في علوم القرآن اشتمل علاى بابين ومقدمة أما أحد البابين فقد كتب في معنى التفسير والتأويل والسورة والآية ، والباب الثاني في شروط القول بالرأي .

وأما الخاتمة فقد اشتملت على آداب المعلم والمتعلم .

٢ ــ جلال الدين البلقيني[٤] "ألف كتابه" مواقع العلوم من مواقع النجوم وتكلم فيه عن مواطن النزول وأوقاته ووقائعه وفي ذلك أنواع منها المكي والمدني والسفري والحضري والليلي

---

١ ــ هو شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسي أبو القاسم المعروف بأبي شامة من أجل شامة كبيرة فوق حاجبه الأيسر توفي سنة خمس وستين وستمائة هجرية .

انظر : طبقات المفسرين للداوودي (٢٦٨/١) تذكرة الحفاظ (١٤٦٠/٤) .

٢ ــ ما بين القوسين ساقط من الأصل .

٣ ــ هو محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومي أبو عبد الله الملقب محي الدين ــوالكافيجيــ نسبة الكافيجي إلى كتاب الكافية في علم النحو لكثرة انشغاله به توفي سنة تسع وثمانين وثمانمائة هجرية . انظر : شذرات الذهب (٣٢٦/٧) اعجام الأعلام لمحمود مصطفى (١٧٢) .

٤ ـ بضم الموحدة وسكون اللام وكسر القاف : عبد الرحمن بن عمر بن رسلان بن نصير جلال الدين أبو الفضل البلقيني سبط الإمام بهاء الدين ابن عقيل توفي سنة أربع وعشرين وثمانمائة هجرية . انظر طبقات المفسرين للداوودي (٢٨٢/١) حسن المحاضرة للسيوطي (٤٣٨/١) .

والنهاري والصيفي والشتائي والقراشي[١] .

وتكلم فيه إيضاً "عن أسباب النزول وعن أول ما نزل وآخر ما نزل وتكلم فيه عن السند وقراءات النبي ﷺ وتكلم عن الرواة وعن الحفاظ ثم تكلم عن الأداء ثم عن الألفاظ ثم عن المعاني المتعلقة بالقرآن ثم عن الإيجاز[٢] والإطناب[٣] والقصر[٤] وبذا تكملت الأنواع خمسين ذكرنا لك بعضها ، فيما تقدم .

٣ ــ والف الزركشي[٥] "كتاباً سماه البرهان في علوم القرآن وبلغت الأنواع فيه سبعة وأربعين نوعاً" .

وفي القرآن التاسع الهجري تحركت من الإمام "جلال الدين السيوطي"[٦] همته العالية وقوة عزيمته الماضية فألف كتاب الاتقان يف علوم القرآن جمع فيه آراء العلماء ،

---

١ ــ الفراشي ما نزل على رسول الله ﷺ وهو على فراشه وثم نوع آخر يسمى السمائي وهو ما نزل على رسول الله وهو في السماء كما في صحيح مسلم (٢/٣) عن ابن مسعود ﷺ قال : "لما أسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهي ــ الحديث فيه فأعطي رسول الله ثلاثاً : أعطي الصلوات وأعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً "المقحمات" بضم الميم وإسكان القاف الحاء معناها "الذنوب العظام الكبائر التي تهلك أصحابها وتقحمهم النار" .

٢ ــ الإيجاز ــالاختصار: وهو ما قل لفظه وكثر معناه .

٣ ــ زيادة اللفظ على المعنى لفائدة .

٤ ــ القصر : بكسر القاف وفتح الصاد نوع من الإيجاز وهو تضمين العبارات القصيرة معاني قصيرة من غير حذف .

٥ ــ محمد بن عبد الله بن بهادر بدر الدين أبو عبد الله المصري الزركشي ، توفي سنة أربع وتسعين وسبعمائة . انظر الدرر الكامنة (٣٩٧/٣) شذرات الذهب (٣٣٥/٦) .

٦ ــ عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري الأسيوطي ، والخضيري نسبة إلى الخضيرية محلة ببغداد توفي سنة إحدى عشرة وتسعمائة هجرية .

انظر : ترجمته لنفسه في حسن المحاضرة (١/٣٣٠) .

وأقوالهم وزاد في الأنواع التي تكلم فيها عن غيره من المؤلفين ويعتبر كتابه من أوفى المراجع وأتمها في علوم القرآن وبذا يكون الإمام جلال الدين قد بذل في سبيل هذا الميدان جهداً مشكوراً .

وبعد / فإنك قد رأيت كيف تدرج التأليف في علوم القرآن من تأليف مفردات إلى أن جاء الإمام السيوطي فاستوعبه فجزى الله الجميع خيراً ولنبدأ بعون الله تعالى في الكلام عن :

أصول التفسير

فنقول أن أصول جمع أصل وهو في اللغة ما يبني عليه غيره كأساس المترل ونحوه ، ومن ذلك قوله تعالى : {أصلها ثابت وفرعها في السماء[١]} .

وكلمة التفسير مصدر للفعل فسر بمعنى أبان وكشف الغطاء وأزال السائر ، ومن ذلك قوله تعالى : {ألا جئنك بالحق أو أحسن تفسيرا[٢]}.

وفي الاصطلاح الكشف عن معاني القرآن وشرح آياته والإبانة عن دقة أساليبه وجمال تركيبه وسمو معانيه ــ هذا هو الكلام عن جزءي المركب المكون من كلمتي :

أ ــ أصول .

ب ــتفسير .

وأما معناه بعد أن صار علماً على هذه الأبحاث المخصوصة التي تكون لنا أسساً سليمة لتفسير القرآن ، فهو كما يأتي :

---

١ ــ سورة إبراهيم ، الآية : (٢٤) .

٢ ــ سورة الفرقان ، الآية : (٣٣) .

تعريف أصول التفسير

هو عبارة عن القواعد الصحيحة والطرق المثلى التي يشرح بها القرآن والتي تكشف عن معانيه ونستطيع عن طريقها التفريق بين الحق والباطل مما جاء في أقوال المفسرين ، وسبيل ذلك مجموعة من الأبحاث تتعلق بالقرآن من حيث نزوله وأسباب هذا النزول ومن حيث كتابته وجمعه وترتيبه ومعرفة العام منه والخاص إلى غير ذلك مما يتصل بالقرآن الكريم وما دمنا قد تكلمنا عن المقصود من أصول التفسير فلنعرض لأصح هذه الطرق وأسلمها .

الأصول الصحيحة للتفسير

أن من أصح الطرق للتفسير :

١ ــ تفسير القرآن بالقرآن ذلك أن بعض الكلمات تأتي مجملة وفي موضع آخر يأتي بيانها أو يأتي معها من ذلك كلمة القارعة في قوله تعالى {القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة}[١] حيث بنيت بقوله تعالى {يوم يكون الناس كالفراش المبثوث[٢] وتكون الجبال كالعهن[٣] المنفوش[٤]}ومثل "هلوعاً" بينت بقوله تعالى : {إذا مسه الشر جزوعاً ، وإذا مسه الخير منوعاً[٥]} .

٢ ــ تفسير القرآن بالسنة لقوله تعالى {وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون[٦]} .

---

١ ــ سورة القارعة : الآية (٣/٢) .

٢ ــ الفراش شبه البعوض يتهافت في النار ، والمبثوث المتفرق وقيل : كغوغاء الجراد المنتشر يموج بعضهم فوق بعض للحيرة إلى أن يدعوا للحساب .

٣ ــ الصوف المصبوغ .

٤ ــ سورة القارعة : الآية (٥/٤) .

٥ ــ سورة المعارج : الآية (٢١) .

٦ ــ سورة النحل : الآية (٤٤) .

فالبيان إذن لرسول الله ﷺ وهو لا ينطق عن الهوى[١] يقول ﷺ "ألا أني أوتيت القرآن ومثله معه[٢] فإذا لم نجد تفسير القرآن في القرآن ففي السنة يكون التوضيح والبيان".

٣ ــ تفسيره بأقوال الصحابة ، ولما كان الصحابة رضوان الله تعالى لهم من الفهم التام والعلم الصحيح الشيء الكثير لأن النبي ﷺ قد بين لهم معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه فإننا نرجع إلى قولهم في التفسير فقد قال أبو عبد الرحمن[٣] .

"حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل[٤] .

ومن هنا ندرك مدى دقة التفسير الذي نرجع فيه إلى أقوالهم .

---

١ ــ إشارة لقوله تعالى في سورة النجم آية (٣) {وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى} .

٢ ــ جزء من حديث عن المقدام بن معدي كرب قال ، قال رسول الله ﷺ "ألا أني أوتيت القرآن ومثله معه إلا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه" الحديث أخرجه أحمد في المسند (١٣١/٤) وأبو داوود (١٠/٥) وبان ماجة مختصراً (٦/١) ورواه الخطيب التبريزي في المشكاة (٥٩/١) وصححه الألباني كما في الجامع الصحيح (٣٣٥/٢) وقوله على أريكته : أي جالساً على سريره المزين .

٣ ــ عبد الله بن حبيب بن ربيعة بالتصغير أبو عبد الرحمن السلمي الكوفي القاري لأبيه صحبة ، قال العجلي : ثقة ، توفي سنة اثنين وسبعين هجرية .

انظر الثقات للعجلي (٢٥٣) تهذيب التهذيب (١٨٣/٥ــ١٨٤) .

٤ ــ رواه بن أبي شيبه في المصنف (١١٧/٦) وأورده ابن كثير في تفسيره (٣/١) بلفظ "حدثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ وكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً وأخرجه الطبري في تفسيره (٢٧/١) من وجه آخر وأورده شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٣٣١/١٣) .

٤ ــ أقوال التابعين وقد أخذ كثير من أئمة التفسير بأقوال التابعين كمجاهد[١] وغيره وكان سفيان الثوري[٢] يقول "إذا جاءك التفسير من مجاهد فحسبك به[٣]" .

ذلك أنه قد روي عنه أنه قال : "عرضت المصحف على ابن عباس[٤] ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها[٥] .

أما التفسير بمجرد الرأي فقد قال شيخ الإسلام[٦] "أنه حرام[٧] .

---

١ ــ هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي المخزومي إمام في التفسير توفي سنة مائة أو إحدى ومائة أو ثلاث أو أربع وهو ساجد .

انظر ميزان الاعتدال (٤٣٩/٣) تهذيب التهذيب (٤٢/١٠) .

٢ ــ سفيان بن سعيد بن مروزق الثوري أبو عبد الله الكوفي إمام في الحديث مات سنة إحدى وستين ومائة ، انظر : طبقات ابن سعد (٣٧١/٦) ميزان الاعتدال (١٦٩/٢) .

٣ ــ انظر تفسير الطبراني (٣٠/١) تفسير ابن كثير (٤/١/د) الفتاوى الكبرى (٣٦٩/١٣) .

٤ ــ عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم أبو العباس ابن عم رسول الله ﷺ وحبر هذه الأمة وترجمان القرآن .

توفي بالطائف سنة ثمان وستين .

انظر : الاستيعاب (٣٣٠/٢) وفيات الأعيان (٦٤/٦٢/٢) .

٥ ــ تفسير ابن كثير (٤/١) .

٦ ــ شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام تقي الدين أبو العباس النمري الحراني ، المعروف بابن تيمية المتوفى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة .

٧ ــ انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٧٠/١٣) .

وقد روي في ذلك حديث رسول الله ﷺ "من قال في القرآن من غير علم فليتبوأ مقعده من النار[١]" .

ومن قال في القرآن بغير علم فقد تكلف ما لا علم له به وسلك غير ما أمر به .

ويرى آخرون جواز التفسير بالرأي مستدلين بقوله تعالى "كتاب أنزلناه إليك مبارك ليتدبروا آياته وليتذكروا أولو الألباب[٢]" وغير ذلك مما يدل على التدبير والتفهم كما يفهم من السنة حيث دعا النبي ﷺ لأبن عباس[٣] بقوله : "اللهم فقه في الدين

---

١ ــ رواه أحمد في المسند (٢٣٣/١) والترمذي في سننه (١٩٩/٥) وقال حسن صحيح والتبريزي في المشكاة (٧٩/١) والسيوطي في الجامع (١٩٠/٦) ورمز له بالصحة وضعفه الشيخ أحمد شاكر في تحقيق المسند (١٤١/٤) والألباني كما في ضعيف الجامع (٢٢٨/١) والحديث مداره على عبد الأعلى بن عامر الثعلبي الكوفي ضعفه أحمد والبخاري وأبو زرعة ،وابن معين ، وابن سعد ، وقال الكرابيسي: "كان من أوهى الناس" وقال العقيلي : "تركه ابن المهدي والقطان" وقال أبو حاتم " والدار قطني ، والنسائي : "وليس بالقوي" قال ابن حجر : حسن له الترمذي وصحح له الحاكم وهو من تساهله وقال المناوي في الفيض فيه من جميع جهاته عبد الأعلى بن عامر الكوفي ، قال أحمد وغيره وضعيف "وردوا تصحيح الترمذي له" .

قلت : بهذا يتضح ضعف الحديث لضعف عبد الأعلى بن عامر الثعلبي والله أعلم .

انظر الضعفاء الصغير للبخاري (١٥٥) المجروحين (١٥٥/٢) المغني في الضعفاء (٣٦٤/١) ميزان الاعتدال (٠/٢) الكاشف (١٣٠/٢) تهذيب التهذيب (٩٤/٦) فيض القدير (١٩٠/٦) .

وقد نقل القرطبي في تفسيره (٣٣/١) عن ابن عطية قوله "ولا يدخل في هذا الحديث أن يفسر اللغويون لغته والنحويون نحوه والفقهاء معانيه ويقول كل واحد باجتهاده المبني على قوانين ونظر فإن القائل على هذه الصفة ليس بمجرد رأيه قال أبو عبد الله القرطبي هذا صحيح وهو الذي اختاره غير واحد من العلماء .

فإن من قال فيه بما سخ في وهمه وخطر على باله من غير استدلال عليه بالأصول فهو مخطئ وأن من استنبط معناه بحمله على الأصول المحكمة المتفق على معناها فهو ممدوح" وقال ابن كثير في تفسيره (٤/١) بعد تحريمه التفسير بمجرد الرأي ما نصه : " فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه ، وهذا ما رجحه المؤلف كما سيأتي .

٢ ــ سورة إبراهيم : الآية (١) .

٣ ـ تقدمت ترجمته صفحة (١٧) .

وعلمه التأويل[١]" والمقصود ــ والله أعلم ــ الإجتهاد وحسن الاستنباط .

والقول الوسط أنه إذا وافق الإجتهاد اللغة والكتاب والسنة وتجرد عن الهوى فهو جائز وأما ما جاء غير متمش مع قوانين اللغة ولا موافق للأصول الشرعية فمذموم ولعل هذا هو الذي يعنية "عمر[٢]" بقوله : ولكن أخاف على هذه الأمة رجلاً قد قرأ القرآن حتى "أذلقه[٣]" "ثم تأوله على غير تأويله[٤]" ومهما يكن فإن أولئك الذين يظهرون في كل زمان ممن لم يصلوا إلى مراتب المجتهدين حيث لم تتوافر لهم سبله ، ومع هذا يجعلون أنفسهم مع الراسخين في العلم ، "فأولئك الذين ضلوا الصواب ، وقولهم في القرآن والتعرض لتفسيره حرام قال تعالى {ولا تقف ما ليس لك به علم[٥]} .

---

١ ــ رواه أحمد في المسند (٢٦٦/١) عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ وضع يده على كتفي أو على منكبي شك سعيد ــبن جبيرــ ثم قال اللهم الخ . قال أحمد شاكر في تحقيق المسند (١٢٧/٤) صحيح الإسناد ، وقال الهيثمي في الزوائد (٢٧٦/٩) ولأحمد طريقان رجالهما رجال الصحيح وفي صحيح البخاري (٢٤٤/١) عن ابن عباس : "أن النبي ﷺ دخل الخلاء" فوضعت له وضوءاً قال : من وضع هذا فأخبر فقال : "اللهم فقهه في الدين" وفي صحيح مسلم (٣٦/١٦) : "اللهم فقهه" .

٢ ــ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوي أبو حفص من أيد الله به الإسلام وفتح به الأمصار قتل رضي الله عنه يوم الأربعاء بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين . انظر : أسد الغابة (٥٢/٤) تهذيب التهذيب (٤٣٨/٧) .

٣ ــ أذلقه : أذلقت الشيء إذا حددته ومنه قولهم ذلق لسانه ذلاقة إذا فصح وذرب : الخطابي غريب الحديث (١٢٧/١) .

٤ ــ أورد هذا الأثر الزرقاني في مناهل العرفان (٥٩/٢) بلفظ : " ما أخاف على هذه الأمة من مؤمن ينهاه إيمانه ولا من فاسق بين فسقه ولكني أخاف " ألخ .

وقد أورد السيوطي في الدر (١٤٩/٢) عن حذيفة بن اليمان أن النبي ﷺ قال : "إن في أمتي قوماً يقرءون القرآن ينثرونه نثر الدقل ثم يتأولونه على غير تأويله" وعزاه إلى أبي يعلي ، والدقل أردأ التمر : (١:١٢٧) .

٥ ــ سورة هود : الآية (٤٢) .

علاقات الأصول بعلم التفسير

علاقة هذا العلم هذا العلم بالتفسير كعلاقة علم المصطلح بالحديث فكل منهما يبحث في مواد لا بد منها لمن أراد الوصول إلى الحقيقة وصولاً لا إلتواء فيه ولا إعوجاج .

الموضوع الثاني القرآن الكريم

بحث[١] في الاسم لغوياً :

ذهب بعضهم[٢] إلى أنه مهموز وأنه وصف مشتق من القرأ على وزن فعلان ، والقرأ بمعنى الجمع[٣] وذهب آخرون[٤] إلى أنه مهموز أيضاً ، لكنهم يقولون أنه مصدر[٥] وكل هؤلاء يذهبون إلى أنه منقول من الوصفية أو المصدرية وسمي به المقروء المنزل على رسول الله ﷺ تسمية لأسم المفعول بالمصدر ، وذلك أرجح الآراء ، وهم يسمونه بعد النقل علماً شخصياً[٦] .

---

١ ــ خبر لمبتدأ محذوف تقديره هذا بحث .

٢ ــ منهم إبراهيم بن السري أبو إسحاق الزجاج النحوي ، أنظر : الاتقان (٥١/١) .

٣ ــ قال في النهاية (٣/٤) سمي القرآن قرآناً لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والآيات والسور بعضها إلى بعض ، وفي اللسان (١٢٨/١) قال أبو إسحاق النحول : "معنى القرآن معنى الجمع لأنه يجمع السور" .

٤ ــ منهم علي بن المبارك اللحياني ، وابن الأثير : انظر : النهاية (٣/٤) لسان العرب (١٢٨/١) الاتقان (٥١/١) .

٥ ــ قال في النهاية (٣/٤) وهو أي القرآن مصدر كالغفران ، والكفران ومثله قال اللحياني كما في الاتقان (٥١/١) .

٦ ــ قال ابن منظور " روي عن الشافعي أنه قرأ القرآن على إسماعيل بن قسطنطين وكان يقول القرآن اسم وليس بمهموز ولم يؤخذ من قرأت ولكنه اسم لكتاب الله مثل التوراة ، والإنجيل ، ويهمز قرأت ولا يهمز القرآن ، وقال أبو بكر بن مجاهد المقرى : كان أبو عمرو بن العلاء لا يهمز القرآن وكان يقرؤه كما روي عن ابن كثير" انتهى . وهذا ما اختاره السيوطي .

انظر لسان العرب (١/١٢٨ـ١٢٩) الاتقان (١/٥١) .

تعريف القرآن

القرآن كلام الله تعالى : الذي نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ بلسان عربي مبين بتلاوته الذي أعجز البشر عن الإتيان بمثله إلينا نقلاً متواتراً كتابة ومشافهة المبدوء بالحمد والمختوم بالجنة والناس .

" ومعنى المتعبد[١] بتلاوته المأمور بقراءته في الصلاة وغيرها عبادة الله سبحانه ويخرج بهذا قراءة الأحاد والأحاديث القدسية لأن تلاوتها ليست عبادة وكذلك لم يتحد الناس بهذه الأحاديث القدسية .

واسم القرآن يطلق على كله وعلى بعضه سواء أكان آية أم سورة .

أسماء القرآن الكريم

ولكتاب الله سبحانه أسماء كثيرة في كتاب البرهان[٢] أنه الله سمى القرآن بخمسة وخمسين اسماً نذكر لك أشهرها ، يسمى كتاباً {حم والكتاب المبين[٣]} {وقرآناً كريماً إنه لقرآن كريم}[٤] وكلاماً {حتى يسيمع كلام الله وفرقاناً[٥]} {نزل الفرقان على عبده[٦]} وذكراً مباركاً {وهذا ذكر مبارك أنزلناه}[٧] {وحبلاً} {واعتصموا بحبل الله[٨]} وغير هذا كثير .

---

١ ــ في الأصل : "ومعنى قوله المتعبد" .

٢ ــ للزركشي : صفحة ٢٧٣ وقد تقدمت ترجمته صفحة (١٢) .

٣ ــ سورة الزخرف : الآية : (١/٢) .

٤ ــ سورة الواقعة : الآية : (٧٧) .

٥ ــ سورة التوبة : الآية : (٦) .

٦ ــ سورة الفرقان : الآية : (١) .

٧ ــ سورة الأنبياء : الآية : (٥٠) .

٨ ــ سورة النساء : الآية : (١٠٢) .

الموضوع الثالث

الوحي ومعناه

الوحي لغة هو الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى على غيره ومنه الإلهام الغريزي كالوحي إلى النحل وإلهام الخواطر وذلك بما يلقيه الله في قلب الإنسان الذي سلمت فطرته كما كان لأمن موسى[١] .

وأما تعريفه شرعاً ، فهو إعلام الله لنبي من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه ، وهذا "تعريفه باعتبار مصدريته[٢]" .

ويطلق على الموحى به وهو ما أنزله تعالى على أنبيائه وعرفهم به من أنباء الغيب والشرائع والحكم ومنهم من كلف بالتبليغ ومنهم من لم يؤمر به[٣] .

وهذا الإطلاق من باب تسمية اسم المفعول بالمصدر[٤] .

وقد عرفه بعضهم[٥] بأنه عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من عند

---

١ ــ يشير إلى قوله تعالى في صورة القصص (١٠) {وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين} .

٢ ــ فالوحي مصدر نقول : "وحي إليه الكلام يحيه وحيا" وقد عرفه المؤلف على هذا الاعتبار .

٣ ــ من كلف بالتبليغ فهو نبي ورسول ومن لم يكلف به فهو نبي ، لذا قيل في تعريف النبي : هو انسان حر ذكر أوحي إليه بشيء ولم يؤمر بتبليغه فإذا أمر فنبي ورسول .

لذا قيل في تعريف النبي : هو انسان حر ذكر أوحي إليه بشيء ولم يؤمر بتبليغه فإذا أمر فنبي ورسول.

٤ ــ لأن الموحي بفتح الحاء اسم مفعول تقول أوحي به يوحي بالبناء للمفعول فهو محي ، وقد أطلق الوحي على الموحي به من باب تسمية اسم المفعول بالمصدر كما قال المؤلف : قال في الفتح (٩/١) وفي عون الباري (٢٥/١) وقد يطلق الوحي ويراد به اسم المفعول منه أي الموحى وهو كلام الله المنزل على النبي ﷺ .

٥ ــ هو الاستاذ : محمد عبده أحد أركان النهضة العربية ومؤسس الحركة الفكرية توفي سنة ثلاثة وعشرين وثلاثمائة وألف هجرية .

انظر : جواهر الأدب للسيد أحمد الهاشمي (٢٢٠/٢) .

الله سواء أكان بواسطة أو من غير واسطة[١] وهنا نستطيع أن نفرق بين الوحي بهذا المعنى وبين الإلهام ، بأن الإلهام وجدان تستيقنه النفس وتنساق إلى ما يطلب منها من غير شعور بمصدره ولا من أين أتى وهو أشبه حالاً بالإحساس بالجوع والعطش ونحوهما .

أنواع الوحي

إن الآية الكريمة وهي قوله تعالى : {ما كان لبشر إن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراءه حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء[٢]} لتجمع لنا أنواع الوحي الثلاثة وهي :

١ ــ إلقاء المعنى في القلب وقد يعبر عنه بالنفث في الروع[٣] .

٢ ــ الكلام من وراء حجاب بأن يسمع كلام الله تعالى من غير رؤية كما حدث لموسى عليه السلام[٤] ومحمد ﷺ ليلة الإسراء[٥] .

٣ ــ ما يلقيه ملك الوحي إلى الرسول فيراه متمثلاً في صورة إنسان[٦] أو غير متمثل مع السماع أو يعيه بقلبه وغير هذه الثلاثة لا تعتبر من الوحي التشريعي .

---

١ ــ انظر : رسالة التوحيد للأستاذ محمد عبده صفحة (١٠٨) .

٢ ــ سورة الشورى ، الآية (٥١) .

٣ ــ نفث في روعي : أي ألقى إلى وأوحى ، والروع النفس .

٤ ــ يشير إلى قوله تعالى في سورة القصص الآية : ٣٠ {فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين } .

٥ ــ إشارة إلى قوله تعالى في سورة النجم الآيات : ٨ ــ ١٠ : { ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى} وفي صحيح مسلم (٢١٤/٢) من حديث الإسراء فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال : يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة .

٦ ــ ففي صحيح البخاري (١٨/١) أنه ﷺ قال : "وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول .

وحي الله إلى الملك

إن الحديث الذي رواه " النواس سمعان[١] يدل في وضوح على أن الله سبحانه وتعالى يتكلم بالوحي فيوحيه إلى جبريل ويسمعه له حيث قال رسول الله ﷺ : "إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة[٢] شديدة خوفاً منه عز وجل فإذا سمع بذلك أهل السموات صعقوا[٣] وخروا سجداً فيكون أولهم يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا فيقول قال الحق وهو العلي الكبير ثم ينتهي به إلى حيث أمره الله[٤]".

وبنظرة فاحصة إلى فقرات الحديث نجد أن قوله : "تكلم بالوحي" وقوله : "فيكلمه اله من وحيه بما أراد" يفيد أنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء بكلام تسمعه الملائكة ، وبذا نستطيع أن نقول أن وحي الله إلى الملك أن يسمعه ما شاء من وحيه بكيفية لا يعلمها إلا هو ثم ينهي إلى حيث أمره .

---

١ ــ النواس بن سمعان بن خالد العامري الكلابي له ولأبيه صحبة رضي الله عنهما .
انظر : أسد الغابة (٤٥/٥) الإصابة (٥٧٩/٣) .

٢ ــ الرجفة : الزلزلة ، والاضطراب الشديد والرجفة فاعل أخذ السموات مفعول به .

٣ ــ غشي عليهم .

٤ ــ رواه ابن جرير في تفسيره (٦٣/٢٢) وذكره ابن كثير (٥٣٧/٣) وابن حجر في الفتح (٥٣٨/٨) والقرطبي في تفسيره (٢٩٦/٤) والسيوطي في الدر (٦٩٨/٦) وعزاه لابن أبي حاتم وابن خزيمة والطبراني وأورده الهيثمي في الزوائد (٩٤/٧) وقال : "رواه الطبراني عن شيخه يحي بن عثمان بن صالح وقد وثق وتكلم فيه من لم يسم بغير قادح وبقية رجله ثقات " وأورده السيوطي في الاتقان (٤٤/٤٣/١) وقال أصله في الصحيح ، قلت يحي بن عثمان بن صالح السهمي المصري ، قال الذهبي في الميزان (٣٩٦/٤) صدوق إن شاء الله وقال ابن حجر في التقريب (٣٧٨) صدوق رمي بالتشيع ولينه بعضهم لكونه حدث من غير أصله .
وبهذا يكون الحديث حسناً إن شاء الله .

كيفية وحي الله إلى الرسل

الوحي إلى الرسل أما بواسطة أو بغيرها والوحي بواسطة ثلاثة أقسام لأنه أما في اليقظة أو في النوم ويسمى الأول إلهاماً والثاني رؤية وليسا طريقاً للوحي التشريعي ، والثالث أن يكون كلاماً إلهياً من وراءه حجاب كما تقدم لك وقد حصل هذا لموسى ولمحمد ﷺ ليلة الإسراء[١] "وعد بعضهم[٢] من هذا آخر سورة البقرة في آيتين[٣] ، وسورة الإنشراح[٤] .

وما كان بواسطة يظهر فيما يأتي .

كيفية وحي الملك إلى الرسول

١ ــ أن يأتي الملك إليه بما يشبه صلصلة الجرس[٥] من حيث القوة وهو أشد أنواع الوحي على الرسول وفي هذا يقول الرسول "وأحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشد

---

١ ــ تقدم ذلك صفحة ( ) .

٢ ــ هو السيوطي كما في الاتقان (٤٥/١) .

٣ ــ لحديث ابن مسعود في صحيح مسلم وقد تقدم صفحة (١١) .

٤ ــ وبعض سورة الضحى كما في الاتقان (٤٥/١) لقوله عليه الصلاة والسلام سألت الله مسألة وددت اني لم أكن سألته ذكرت رسال ربي فقلت : يارب سخرت لسليمان الريح وكلمت موسى فقال تبارك وتعالى "أم أجد يتيماً فأويتك وضالاً فهديتك وعائلا فأغنيتك" قال فقلت : نعم فوددت اني لم أسأله .رواه الحاكم في المستدرك (٥٢٦/٢) وقال صحيح الاسناد ووافقه الذهبي وأورده البيهقي في الدلائل (٦٢/٧) وابن كثير في تفسيره (٥٢٤/٤) والسيوطي في الاتقان (٤٥/١) وعزاه لابن حاتم بزيادة : "وشرحت لك صدرك وحططت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك فلا أذكر إلا ذكرت معي" .

٥ ــ الصلصلة بمهملتين مفتوحتين بينهما لام ساكنة ، في الأصل صوت وقوع الحديد بعضه على بعض ثم أطلق على كل صوت له طنين ، والجرس الجلجل الذي يعلق في رؤوس الدواب واشتقاقه من الجرس بسكون الراء وهو الحس قال الكرماني هو ناقوس صغير أو سطل في داخله قطعة نحاس يعلق منكوساً على البعير فإذا تحرك البعير تحركت النحاسة فأصابت السطل فحصلت الصلصلة ، وقال ابن حجر : "الحكمة في تقدمة الجرس أن يقرع سمعه الوحي فلا يبقى فيه مكان لغيره " . انظر : فتح الباري (٢٠/١) عون الباري (٣٦/١) النهاية (٤٦/٣) .

علي فيفصم عني[١] وقد وعيت عنه ما قال[٢] .

٢ ــ أن يظهر له متمثلاً برجل كما في صورة دحية الكلبي[٣] وفي هذا يقول الرسول الله ﷺ : "وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني[٤]" .

٣ ــ "أن ينفث في روعه نفثاً[٥]" .

---

١ ــ بفتح أوله وسكون الفاء : أي : يقلع وتجلى ما يغشاني .

٢ ــ جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه (١٨/١) .

٣ ــ ففي صحيح مسلم (٢٣١/٢) من حديث الإسراء : "ورأيت جبريل عليه السلام فإذا أقرب من رأيت دحية" قال في أسد الغابة : (١٣٠/٢) دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي صاحب رسول الله ﷺ وكان جبريل يأتي النبي في صورته أحياناً .

٤ ــ تقدم تخريجه صفحة (٢٥) .

٥ ــ نفث في روعه : ألقى إليه وأوحى والروع النفس .

الموضوع الرابع

المكي والمدني ــ سبب التنويع

لقد أقام النبي ﷺ حين نزول الوحي مدة في مكة ، وفي المدينة مدة أخرى ومجموعهما يقرب من ثلاثة وعشرين عاماً أقام في مكة ما يقرب من ثلاث عشرة سنة وبالمدينة بعد الهجرة عشرة سنوات تقريباً وهذا هو السر في تنويع القرآن إلى مكي وإلى مدني بحسب نزوله .

فائدة دراسة هذا النوع

معرفته تكون معواناً على ما يأتي :

١ ــ تفهم كتاب الله .

٢ ــ ومعرفة الناسخ والمنسوخ الذي يجعل أخذ الأحكام الشرعية دقيقاً صحيحاً .

٣ ــ ثم هو يعد آية تنطق بما كان للمسلمين من عناية فائقة بكتاب الله والأهتمام به مما لم يتوفر لأي أمة أخرى و لم يتيسر لشريعة من الشرائع السابقة .

مصادر معرفته

اعلم أن العمدة في معرفة المكي والمدني إنما هو حفظ الصحابة والتابعين والنقل الصحيح عنهم و لم يرد في ذلك عن النبي ﷺ قول .

وممن كانت له عناية شديدة بهذا النوع عبد الله بن مسعود[١] فقد أخرج البخاري[٢] عنه أنه قال : "والله الذي لا إله غيره ما نزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت ولا نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيما نزلت ولو أعلم أحداً أعلم

---

١ ــ الصحاب الجليل عبد الله بن مسعود بن غافل أبو عبد الرحمن الهذلي مات سنة اثنتين وثلاثين بالمدينة المنورة .

انظر : أسد الغابة (٢٥٦/٣) طبقات القراء للذهبي (٣٣/١) .

٢ ــ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي أبو عبد الله البخاري الإمام الحافظ المعول على صحيحه في أقطار البلدان : مات سنة ست وخمسين ومائتين .

انظر : البداية والنهاية : (٢٤/١١) تذكرة الحفاظ (٥٥٥/٢) .

مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه[١] .

اصطلاحات العلماء في المكي والمدني

للعلماء في التمييز بين المكي والمدني اصطلاحات خاصة .

١ ــ فمنهم : من لاحظ المكان فقال أن المكي ما نزل بمكة والمدني ما نزل بالمدينة[٢] .

ومعروف أن الرسول ﷺ كانت له أسفار نزلت فيها وهذه لا ينطبق عليها تعريف المكي والمدني وإذن فليس هذا التعريف شاملاً ولا حاصراً .

٢ ــ ومنهم من لاحظ المخاطبين فقال ما نزل خطاباً لأهل مكة فهو مكي وما نزل خطاباً لأهل المدينة فهو مدني ولما كان الغالب في أهل مكة الكفر فخاطبهم خطاباً لأهل المدينة فهو مدني ولما كان الغالب في أهل مكة الكفر فخاطبهم بـــ{ يا أيها الناس} وإن كان غيرهم داخلاً فيهم وخطاب أهل المدينة { يا أيها الذين آمنوا[٣]} .

٣ ــ واعتبر بعضهم : الهجرة فقال أن ما نزل قبلها فهو مكي ولو نزل بغيرها ، وما نزل بعدها فهو مدني ولو نزل في مكة فمثلاً قوله تعالى : {واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله}[٤] .نزلت بمكة إلا أنها مدنية لأنها نزلت بعد الهجرة وهذا الإصطلاح أرجح وهو المشهور[٥] إذ أنه حاصر للأقسام وضابط لها .

---

١ ــ رواه البخاري في صحيحه (٤٧/٩) ومسلم (١٧/١٦) والنسائي في السنن (١٤٧/١٤٦/٢) .

٢ ــ قال السيوطي في الاتقان (٩/١) ويدخل في مكة ضواحيها كالمنزل بمنى وعرفات والحديبية وفي المدينة وضواحيها كالمنزل ببدر وأحد سلع .

٣ ــ وممن نسب إليهم هذا الرأي عبد الله بن مسعود وابن عباس وعروة بن الزبير والإمام أحمد وعلقمة بن قيس النخعي والحسن البصري ، انظر مصنف عبد الرزاق (١٤٠/٦) البرهان للزركشي (١٨٩/١) الدلائل للبيهقي (١٤٤/٧) .

٤ ــ سورة البقرة .

٥ ــ انظر : البرهان للزركشي (٨٧/١) الابقان (١٢/٩/١) .

أما الأول فغير حاصر ولا جامع بل يلزم منه تعدد الأسماء بتعدد الأماكن فمثلاً ما نزل في تبوك أو نزل في بيت المقدس أو ليلة الإسراء لا يشمله هذا التعريف الأول .

وأما الثاني فمنقوض بسورة البقرة حيث نزل فيها {يا أيها الناس}[١] مع أنها مدنية وسورة الحج وهي مكية نزل فيها {يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا[٢]} .

وإذا ترجح لدينا الثالث فعليه نقول إن ما نزل في سفر الهجرة مكي وما نزل في أي سفر بعدها مدني مثل سورة الفتح نزلت في أسفاره ﷺ[٣] .

مميزات المكي والمدني

للكلام عن هذه المميزات يجب أن تعرف أن الطريق الصحيح لمعرفة المكي والمدني إنما هو النقل الصحيح عن الصحابة والتابعين وهذا هو الطريق الأول .

أما الطريق الثاني : فمعرفتهما عن طريق الوقوف على مميزاتها بمعنى أنك إذا عجزت عن الوقوف على رأي الصحابة والتابعين فارجع إلى هذه المميزات التي ساذكرها لك لتفرق بين المكي والمدني وتلك المميزات إما ضوابط كلية وعلامات واضحة لما ورد عن أصحابه ﷺ وإما خواص تظهر في كل منها من ظهورها في الآخر .

---

١ ــ قال في البرهان (١٩٠/١) فإن أراد المفسرون أن الغالب فهو صحيح ، وكذا قال مكي بن حموش القيسي هذا إنما هو في الأكثر وليس بعام .

٢ ــ سورة الحج ، الآية : (٧٧) .

٣ ــ ذكر في البرهان (٨٨/١) عن يحي بن سلام قال : " ما نزل بمكة وما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي ﷺ المدينة فهو من المكي وما نزل على النبي في أسفاره بعدما قدم المدينة

فهو من المدني ، قال السيوطي في الإتقان (٩/١) وهذا أثر لطيف يؤخذ منه أن ما نزل في سفر الهجرة فهو مكي اصطلاحاً .

ضوابط المكي

١ ــ كل سورة اشتملت على كلمة {كلا} فهي مكية وقد ورد هذا اللفظ في القرآن ثلاثاً وثلاثين مرة .

٢ ــ كل سورة فيها سجدة فهي مكية وكل سورة فيها يا أيها الناس وليس فيها {يا أيها الذين آمنوا} فهي مكية إلا بعض السور[١] .

٣ ــ كل سورة بدئت بفواتح السور {حم ــ الم ــ المص ــ طسم } فهي مكية ما عدا البقرة وآل عمران وفي الرعد خلاف[٢] .

٤ ــ كل سورة فيها قصة آدم وإبليس مكية ما عدا البقرة .

٥ ــ كل سورة فيها قصص الأنبياء السابقين وأممهم مكية ما عدا {البقرة والمائدة وآل عمران}[٣] .

ضوابط المدني

١ ــ كل سورة فيها الحدود والفرائض مدنية .

٢ ــ كل سورة ذكر فيها المنافقون مدنية ما عدا العنكبوت ، وكذلك كل سورة ذكر فيها القتال مدنية .

خواص المكي والمدني

لقد امتاز كل من المكي والمدني بأشياء كثرت في أحدهما وزادت فيه على الآخر ، وقد يسميها بعضهم مميزات المكي والمدني .

---

١ ــ كسورة البقرة : مدنية وفيها : {يا أيها الناس اعبدوا ربكم} الآية (٢١) سورة النساء : مدنية وفيها : {يا أيها الناس اتقوا ربكم} الآية (١) وسورة الحج مكية وفيها { يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا} الآية (٧٧) .

٢ ــ روي عن علي بن أبي طالب وابن عباس وسعيد بن جبير انها مكية وروي عن ابن الزبير وقتادة وهي رواية أخرى لابن عباس أنها مدنية واستثنى قتادة قوله تعالى من سورة الرعد الآية (٣١)

{ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة} فقال : مكية قال السيوطي : والذي يجمع بين الخلاف انها مكية إلا آيات منها .

٣ ــ انظر البرهان للزركشي (١/١٨٨) .

خواص المكي : ــ

١ ــ اختص المكي بذكر الدعوة إلى أصول الأديان المتصلة بالعقيدة من الإلهيات والرسالة وأمر البعث الجزاء ، كما يبرز في القسم المكي الإقناع عن طريق الأدلة الكونية والبراهين العقلية وذلك هو المناسب لهم فقد كانوا غرقى في بحار من ظلمات الشرك والجهالة .

٢ ــ العناية بالدعوة إلى أصول التشريع العامة والفضائل الثابتة وخاصة ما اتصل بحفظ المال والنفس والعقل والدين .

"فإنك تعرف أنهم قد تفشت فيهم أمراض اجتماعية هي بحاجة إلى الاستئصال[١] "ومن ذلك أكلهم أكلهم أموال الناس بالباطل ووأد البنات[٢] وغير ذلك .

٣ – قصر آياته وسوره وهو بمكان من البلاغة التي لا تجارى والفصاحة التي لا توصف إذ قد جاء مطابقاً لمقتضى حالهم لأنهم وهم أهل البلاغة وملوك البيان تناسبهم الآيات الجامعة في قصر ، والإنذارات القارعة[٣] تلقى عليهم في سرعة خاطفة لتستمع إلى ذلك أذهانهم فلا يستطيعون وصولاً إلى مثل هذا البيان فيظلون حيارى مشدوهين[٤] .

وأنها على هذا القصر لتجمع المعاني السامية والأدلة القوية مما جعلهم يقرون بإعجاز القران [٥] .

---

١ ــ يقال استأصله إذا قلعه من أصله .

٢ ــ أي : دفنهن أحياء .

٣ ــ الشديدة من شدائد الدهر وهي الداهية .

٤ ــ مدهوشين محتارين .

٥ ــ مما قاله الوليد بن المغيرة في القرآن : "ان له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أصله لعذق وإن فرعه لجناة" . قوله : "وإن أصله لعذق" استعارة من النخلة التي ثبت أصلها وقوى وطاب فرعها إذا جنى ، والنخلة هي العذق بفتح العين ، انظر سيرة ابن هشام (٢٤٣/١) والبرهان للزركشي (١٠٤/٢) .

خواص المدني : ــ

ويظهر في المدني بعض أشياء يمتاز بها عن المكي :

١ ــ اشتماله على العبادات والمعاملات كما ترى في سورة البقرة .

٢ ــ فضح أعمال المنافقين وكشفها وبيان الأحكام المتعلقة بهم كما في سورة البقرة والتوبة والنساء وكذلك اشتماله على القواعد الخاصة بأحكام القتال وما يتصل بذلك كله من عقد الصلح والغزوات وغيرها .

٣ ــ طول أكثر سورة وآياته مع اشتمالها على بيان الأحكام السابقة وفي كل من الطول والقصر مراعاة لمقتضي الحال فكان في البلاغة في أسمى درجاتها وذروة[١] الكمال منها .

المتفق عليه من المكي والمدني

لقد ذكر العلماء أقوالاً كثيرة في السور المكية والمدنية ولعل أرجحها ما نقله السيوطي من طريق مجاهد عن ابن عباس[٢] أن المتفق عليه في القسم المدني عشرون سورة فقط هي البقرة ، وآل عمران ، النساء ، المائدة ، الأنفال ، التوبة ، النور ، الأحزاب ، محمد ، الفتح ، الحجرات ، الحديد ، المجادلة ، الحشر ، الممتحنة ، الجمعة ، المنافقون ، الطلاق ، التحريم ، النصر وغن المختلف فيه اثنتا عشر سورة هي : ــ

الفاتحة ، الرعد ، الرحمن ، الصف ، التغابن ، التطفيف ، القدر ، لم يكن ، إذا زلزلت ، الإخلاص ، المعوذتين .

المكي : وما بقي بعد ذلك فهو مكي[٣] .

١ ــ ذرا الشيء : بالضم أعاليه واحدة ذروة بكسر الذال وضمها .

٢ ــ تقدمت ترجمتهم صفحة (١٢ــ١٦ــ١٧) .

٣ ــ انظر : الاتقان (١/١١) .

اشتمال المكي على آيات مدنية وبالعكس

وبعض السور مكية وفيها آيات مدنية وبالعكس ، والسبب في ذلك أن افتتاحية السورة إذا نزلت بمكة كتبت بها ثم يزيد الله سبحانه فيها ما يشاء ، وذلك كسورة النجم مكية فيمام عدا الآية الثانية والثلاثين {الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم[١]} الآية فهي مدنية ومع ذلك فالسورة مكية باعتبار أولها أو أكثرها ومثل هذا يقال في القسم المدني[٢] .

١ ــ سورة النجم : الآية : (٣٢) والمراد باللمم : صغائر الذنوب كالنظرة والقبلة واللمسة ، فإن الله يغفرها باجتناب الكبائر وعدم الإصرار على الصغائر .

٢ ــ فسورة التوبة مدنية إلا قوله تعالى : {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم {فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم} الآيتان (١٢٨ــ ١٢٩) .

الموضوع الخامس

٥ ــ أول ما نزل وآخر ما نزل .

البحث في هذا الموضوع يدور حول الأولية المطلقة يعني أول ما نزل من القرآن وهو الذي لم يترل قبله شيء ، والآخرية المطلقة وهي التي لم يترل بعدها شيء أبداً ، وأما البحث حول الأولية المقيدة بموضوع معين أو الآخرية بالنسبة لموضوع معين كأول ما نزل في القتال وآخر ما نزل فيه مثلاً فلا مجال للكلام فيه هنا إذ يحتاج إلى المطولات[١] .

طريق معرفة ذلك

ليست معرفة أول ما نزل مما هو محل إجتهاد أو للرأي فيه مجال ولذا فإن معرفته والوقوف عليه إنما هي عن طريق النقل الصحيح عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم .

أول ما نزل

١ ــ الصحيح المشهور هو أن أول ما نزل من القرآن {اقرأ باسم ربك} إلى قوله تعالى : {علم الإنسان ما لم يعلم[٢]}وذلك لأنه مؤيد بالأحاديث المرفوعة فمن ذلك ما رواه "الشيخان[٣]" عن عائشة[٤] رضي الله عنها في حديث بدأ الوحي ، وما ذكر فيه من مجيء جبريل إلى النبي في غار حراء[٥] وغطه[٦] له ثلاث مرات يقول له في كل مرة اقرأ

---

١ ــ ذلك لأنه يتطلب البحث في جميع آي القرآن وأسباب نزولها ثم البحث عن أول آية نزلت في كذا وآخر آية نزلت فيه وهلم جرا .

٢ ــ سورة العلق الآيات من ١ إلى ٥ .

٣ ــ البخاري ومسلم .

٤ ــ هي أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما توفيت سنة سبع وخمسين .
انظر : الإصابة (٣٤٨/٤) طبقات ابن سعد (٣٩/٨) .

٥ ــ جراء جبريل معروف في مكة بكسر الحاء وحكى فيه الفتح والضم وهو ممدود ويقصر ، ويصرف ولا يصرف ، انظر : هدي الساري لابن حجر صفحة (١٠٤) .

٦ ــ ضمه وعصره .

والنبي يقول ما أنا بقارئ حتى كانت الثالثة فقال له {اقرأ باسم ربك الذي خلق}[١] ومثل هذا عن عائشة[٢] رضي الله عنها قالت : أول سورة نزلت من القرآن اقرأ[٣] وغير ذلك .

والرأي الثاني أن أول ما نزل سورة {المدثر } لما روي عن جابر[٤]حين سئل عن أول ما نزل قال أول ما نزل {يا أيها المدثر[٥]}ولقد روي عنه أيضاً أنه قال : "سمعت رسول الله ﷺ يحدثنا عن فترة الوحي ، وروي الحديث حتى وصل إلى قول النبي فإذا الملك الذي جاءني بحراء فرجعت فقلت دثروني[٦] فأنزل الله {يا أيها المدثر[٧]} .

---

١ ــ أخرجه البخاري في صحيحه (٢٢/١) ومسلم (١٩٧/٢) وعبد الرزاق في المصنف (٣٢١/٥) من حديث طويل فيه تقول عائشة رضي الله عنها "حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال أقرأ قال ما أنا بقارئ قال فأخذني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال أقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ من الجهد ثم أرسلني فقال أقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال {اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق أقرأ وربك الأكرم } فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده" الحديث .

٢ ــ تقدمت ترجمتها .

٣ ــ أخرجه الحاكم في المستدرك (٥٢٩/٢) وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي وبهذا قال: ابن عباس وابو موسى الأشعري كما صححه الحاكم عنه في المستدرك (٢٢٠/٢) وأقره الذهبي. انظر الدلائل للبيهقي (١٤٤/٧) الدر للسيوطي (٥٦٠/٨) .

٤ ــ جابر بن عبد الله بن عمر بن حزام بن كعب الصحابي الجليل أبو عبد الله الأنصاري توفي سنة ثمان وسبعين وقيل سبع وسبعين : أنظر أسد الغابة (٢٥٦/١) تذكرة الحفاظ (٤٣/١) .

٥ ــ أخرجه مسلم في صحيحه (٢١٧/٢) حدثنا الأوزاعي قال : سمعت يحي يقول سألت أبا سلمة أي القرآن أنزل قبل قال : يا أيها المدثر فقلت : أو أقرأ فقال : سألت جابر بن عبد الله أي القرآن أنزل قبل قال يا أيها المدثر .

٦ ــ قال النووي في شرح مسلم (٢٠٨/٢) قال العلماء المدثر ، والمزمل ، والمتلفف ، والمشتمل ، بمعنى واحد .

٧ ــ صحيح البخاري (٢٧/١) مسلم (٢١٧/٢) .

مقارنة بين القولين

لقد عرفت أن الرأي الأول نزل {أقرأ} أولاً هو الصحيح المشهور لما يأتي :

١ ــ قوة دليله فقد رواه الشيخان[١] .

٢ ــ أن دليله حديث مرفوع وبذا يستقيم الرأي الأول ، أم الرأي الثاني فلا ينهض على معارضة الأول وحديث جابر ، الذي هو عماد دليله نجيب عليه بما يأتي :

أ ــ أن جابراً نفسه قد في روايته أن النبي ﷺ قال :"فإذا الملك الذي جاءني في حراء[٢]" ومنه نستنبط في وضوح تأخر قصة المدثر عن قصة حراء المستلزم تأخر نزول المدثر عن نزول أقرأ التي صرح فيها أول ما نزل .

ب ــ حمل كلام جابر على أنها أول سورة نزلت كاملة ، ومما لا شك فيه إن سورة المدثر نزلت كاملة قبل تمام أقرأ .

ج ــ في كلام جابر ما يدل بصراحة لا لبس فيها على أن الأولية مقيدة بما بعد فترة الوحي .

د ــ حمل كلام جابر على أنها أولية خاصة بالرسالة يعني أنها أول ما نزل يحمل في الرسالة {قم فأنذر[٣]}.

هـــ أن الحديث المؤيد للرأي الأول فيه ما يدل على أن {أقرأ} لم يسبقها وحي حيث قال ﷺ "ما أنا بقارئ" "فإن هذا المنقي يدل على عدم نزول شيء قبله فسلم دليل

---

١ ــ البخاري ومسلم وقد تقدم تخريجه صفحة ( ) .

٢ ــ جبل معروف بمكة .

٣ ــ سورة المدثر الآية : (٢) .

الأول ، وبذا يترجح الرأي الأول وتظهر قوته[١]" .

آخر ما نزل

وأما آخر ما نزل فقد وردت فيه آراء كثيرة تلخص فيما يأتي .

١ ــ آخر ما نزل {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا[٢] أخرجه البخاري عن ابن عباس[٣] .

٢ ــ آخر ما نزل آية الدين[٤] فقد روي أنها آخر القرآن عهد بالعرش[٥] .

---

١ ــ قال النووي في شرح مسلم (٢٠٧/٢) عند حديث جابر ما نصه : قوله " إن أول ما أنزل قوله تعالى : {يا أيها المدثر} ضعيف بل باطل والصواب أن أول ما نزل على الإطلاق {أقرأ باسم ربك}كما صرح به في حديث عائشة رضي الله عنها ، وأما {يا أيها لمدثر} فكان نزولها بعد فترة الوحي كما صرح به في رواية الزهري عن أبي سلمة عن جابر والدلالة صريحة فيه في مواضع منها قوله ، وهو يحدث عن فترة الوحي إلى أن قال فأنزل الله تعالى :{يا أيها المدثر} ومنها قوله ﷺ فإذا الملك الذي جاءني بحراء" ثم قال : فأنزل الله تعالى {يا أيها المدثر} ومنها قوله : قم تتابع الوحي يعني فترته فالصواب أن أول ما نزل : {أقرأ} وأن أول ما نزل بعد فترة الوحي {يا أيها المدثر} انتهى .

٢ ــ سورة البقرة الآية : (٢٧٨) .

٣ ــ صحيح البخاري (٢٠٥/٨) قال في الفتح "المراد بالأخرية في الربا تأخر نزول الآيات المتعلقة به من سورة البقرة وأما حكم تحريم الربا فتزوله سابق لذلك بمدة طويلة على ما يدل عليه قوله تعالى في سورة آل عمران في أثناء قصة أحد {يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة} .

٤ ــ قوله تعالى { يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه} إلى آخر الآية من سورة البقرة (٢٨٢) .

٥ ــ أورده ابن كثير في تفسيره (٣٣٤/١) قال السيوطي في الدر (١١٧/٢) أخرج ابن جرير بسند صحيح عن سعيد بن المسيب أنه بلغه أن أحدث القرآن بالعرش آية الدين قال : وأخرج ابو عبيد في فضائله عن ابن شهاب آخر القرآن عهداً بالعرش آية الربا وآية الدين .

٣ ــ آخر ما نزل {واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله[١]} أخرجه النسائي[٢] عن ابن عباس[٣] ورواه ابن جبير[٤] .

وانت تعرف أن هذه الآيات الثلاث بجوار بعضها في المصحف والظاهر أنها نزلت مرة واحدة لأنها في قصة واحدة ، الدين وكتابته والقرض الذي جر نفعاً والأمر بتقوى الله ورعايته والخوف منه وحينئذ تجد أنه لا منافاة بين هذه الروايات الثلاث إذ تحمل على أن كل واحد روى بعض ما نزل على أنها آخر ما نزل اعتماداً على أن القصة واحدة فتكون هذه الآراء قولاً واحداً وآخر آية هي {واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله} لكثرة ما ورد فيها مد عمالها من الآثار .

٤ ــ آخر ما نزل من الآيات آية الكلالة[٥] .

---

١ ــ سورة البقرة الآية : (٢٨١) .

٢ ــ الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر النسائي صاحب السنن المتوفى سنة ثلاث وثلاثمائة .

انظر تذكرة الحفاظ (٦٩٨/٢) تهذيب التهذيب (٣٦/١) .

٣ ــ أخرجه البيهقي في الدلائل (١٣٧/٧) وأورده ابن كثير في تفسيره (٣٣٣/١) والسيوطي في الدر (١١٦/٢) وقال أخرجه أبو عبيد وعبد بن حميد والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن الأنباري في المصاحف والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل من طرق عن ابن عباس .

٤ ــ روى ابن كثير في تفسيره (٣٣٣/١) والسيوطي في الدر (١١٦/٢) عن ابن جبير قال آخر ما انزل من القرآن كله : {واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله} وابن جبير هو سعيد بن جبيربن هشام الأسدي الوالبي الفقيه الحجة أبو محمد الكوفي قتله الحجاج سنة اثنتين وسبعين .

انظر الحلية لأبي نعيم (٢٧٢/٤) تهذيب التهذيب (١١/٤) .

٥ ــ رواه البخاري في صحيحه (٢٦٧/٨) ومسلم (٥٨/١١) والترمذي في سننه (٢٤٩/٥) وابن ابي شيبة في المصنف (١٤٧/٦) والبيهقي في الدلائل (١٣٧/٧) عن البراء بن عازب ﷺ قال : "آخر سورة نزلت براءة وآخر آية نزلت {يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة} الآية (١٧٦)

من سورة النساء ، والكلالة كل وارث ليس بوالد للميت ولا ولد له فهو كلالة موروثة سموا كلالة لاستدارتهم بنسب الميت الأقرب فالأقرب من تكلل الشيء إذا استدار به .

٥ ــ آخر ما نزل سورة النصر[١] .

٦ ــ آخر ما نزل {اليوم أكملت لكم دينكم[٢]} .

ونظراً لأن الأراء الثلاثة الأولى أسفرت عن أن آخر الآيات نزولاً هي {واتقوا يوماً} إلخ فإننا نحمل الأقوال الباقية على أن أخريتها آخرية مقيدة بموضوعها فمثلاً آية الكلالة تحمل على أنها آخر آية في المواريث ، وسورة النصر آخر ما نزل مشيراً إلى الوفاة {اليوم أكملت لكم دينكم} آخر ما نزل في الحلال والحرام .

بل إن هذه الآية نفسها يمكن أن تحمل على أن المراد من إكمال الدين إقرارهم في البلد الحرام وإجلاء المشركين وإنفراد المسلمين بالحج وحدهم وذلك من تمام النعمة وبهذا التفسير الآخير لآية المائدة لا تكون مما وصف بالأخرية فلا تنافي بينها وبين ما ترجح أنها أخر ما نزل أو يقال إن آية المائدة أسبق نزولاً إذ أنها نزلت يوم عرفة من عام حجة الوداع والنصر في أيام التشريق وآية {وأتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله[٣]}نزلت بعد انتهائه ﷺ من حجة الوداع

---

١ ــ في صحيح مسلم (١٦١/١٨) عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال ، قال لي ابن عباس : تعلم وقال هارون تدري آخر سورة نزلت من القرآن نزلت جميعاً قلت نعم ، قال {إذا جاء نصر الله والفتح} قال : صدقت .

٢ ــ الآية (٣) من سورة المائدة قال السيوطي في الاتقان (٢٨/١) من المشكل على ما تقدم قوله تعالى : {اليوم أكملت لكم دينكم} فإنها نزلت بعرفة عام حجة الوداع وظاهرها اكمال جميع الفرائض والأحكام قبلها وقد صرح بلك جماعة منهم السدي فقال لم يترل بعدها حلال ولا حرام مع انه ورد في آية الربا والدين والكلالة أنها نزلت بعد ذلك وقد استشكل ذلك ابن جرير وقال الأولى أن يتأول على أنه أكمل لهم دينهم باقرارهم بالبلد الحرام واجلاء المشركين عنه حتى حجة المسلمون لا يخالطهم المشركون .

٣ ــ سورة البقرة الآية : (٢٨١) .

وآية الكلالة آخر آيات المواريث وسورة النصر آخر ما نزل مؤذناً بوفاة النبي ﷺ فترجح كون {واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله} آخر ما نزل[1] .

---

١ ــ قال البيهقي في الدلائل (١٣٩/٧) "هذا الاختلاف يرجع والله أعلم ــ إلى أن كل واحد منهم أخبر بما عنده من العلم" وقال القاضي أبو بكر في الانتصار : أهذه الأقوال ليس فيها شيء مرفوع إلى النبي ﷺ وكل ما قال بضرب من الاجتهاد وغلبه الظن ، ويحتمل أن كلا منهم أبخر عن آخر ما سمعه من النبي ﷺ في اليوم الذي مات فيه أو قبل مرضه بقليل وغيره سمع منه بعد ذلك وان لم يسمعه هو ويحتمل أيضاً "أن تنزل الآية التي هي آخر آية تلاها الرسول ﷺ

مع آيات نزلت معها فيؤمر برسم ما نزل معها بعد رسم تلك فيظن أنه آخر ما نزل في الترتيب " انتهى ، انظر : الاتقان (٢٧/١) .

الموضوع السادس

٦ ــ معرفة أسباب النزول وفوائده :

١ ــ أسباب النزول أمثلة :

عن جابر بن عبد الله[١]قال بينما النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة فقدمت عير[٢] إلى المدينة فابتدرها أصحاب رسول الله ﷺ حتى لم يبق منهم إلا اثنا عشر رجلاً فقال ﷺ : "والذي نفسي بيده لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادي ناراً" فنزلت "وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائماً" ذكره ابن كثير[٣] .

٢ ــ كانت خولة بنت ثعلبة[٤] تحت الأوس بن الصامت[٥] فقال لها انت علي كظهر أمي ثم ندم وقال : ما أظنك إلا قد حرمت فراحت إلى رسول الله ﷺ وشكت إليه أمرها فقال حرمت عليه فراحت تلح عليه في شكواها وظلت هكذا وكلما قال لها رسول الله ﷺ حرمت عليه قالت إلى الله أشكو فاقتي وشدة حالتي اللهم فأنزل

---

١ ــ تقدمت ترجمته صفحة (٣٩) .

٢ ــ العير : بالكسر الإبل التي تحمل الطعام ثم غلب على كل قافلة .

٣ ــ رواه البخاري في صحيحه (٤٢٢/٢) ومسلم (١٥١/١٥٠/٦) والترمذي (٤١٤/٥) والدار قطني (٥/٢) والبيهقي في السنن الكبرى (١٩٧/٣) وأورده ابن كثير في تفسيره (٣٦٧/٤) .

٤ ــ خولة بنت مالك بن ثعلبة بن أصرم بن فهد ، ويقال خويلة ويقال خولة بنت حكيم ويقال خولة بنت ثعلبة . قال ابن عبد البر خولة بنت ثعلبة أثبت وأصح إن شاء الله .

انظر : الاستيعاب (٢٩٠/٤) الإصابة (٢٨٩/٤) .

٥ ــ أوس بن الصامت بن قيس الخزرجي الأنصاري أخو عبادة ابن الصامت رضي الله عنهما : مات في أيام عثمان ﷺ وقيل مات سنة أربع وثلاثين بالرملة :
انظر : الإصابة (٨٥/١) أسد الغابة (١٤٦/١) .

على نبيك فرجي فنزل قوله تعالى {قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها[١]} الآيات .

٣ ــ مر رسول الله ﷺ بنفر ن اليهود فسأله بعضهم عن الروح فأنزل الله تعالى {يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا[٢]} .

أمامك أمثلة ثلاثة اشتمل الأول على حادثة نزل فيها القرآن مبيناً لها ، والثاني على واقعة وقعت فنزل القرآن مبيناً حكمها ، والثالث جواب سؤال النبي ﷺ فكل من الحادثة أو الواقعة أو السؤال هو ما يسمى سبب النزول .

أ ــ فسبب النزول : ــ

هو ما نزلت الآية فيه أيام وقوعه متضمنة له أو مبينة لحكمه ويشترط لاعتبار الوقائع أسباب نزول أن تكون الآية قد نزلت ساعة وقوعها كما تقدم في التعريف وعليه فليس مما يعتبر سبب نزول .

أ ــ القصص في القرآن .

ب ــ ولا الأخبار بالمغيبات فإنه في الأولى أخبار عن حوادث سابقة وفي الثانية أخبار عن أمور مستقبلية .

ج ــ الآيات المتضمنة للأحكام ابتداء .

وبذا نستطيع أن نعرف أن القرآن منه ما نزل مبيناً على سبب من حادثة أو نحوها ومنه ما نزل غير مرتب على سبب خاص ولا هو للجواب عن سؤال .

---

١ ــ رواه أبو داود في سننه (٦٦٢/٢) والنسائي (١٦٨/٦) وابن ماجه (٦٦٦/١) والبيهقي في السنن الكبرى (٣٨٢/٧) والحاكم في المستدرك (٤٨١/٢) وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ، وأورده ابن كثير في تفسيره (٣١٨/٤) بألفاظ متعددة وذكره السيوطي في الدر (٦٩/٨) من طرق عدة وذكر البخاري في كتاب التوحيد (٣٧٢/١٣) طرفاً منه تعليقاً عن عائشة رضي الله

عنها قالت : "الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات فأنزل الله على النبي قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها" .

٢ ــ رواه أحمد في مسنده (٤١/١) والبخاري في صحيحه (٤٠١/٨) ومسلم (١٣٦/١٧) والترمذي في سننه (٣٠٤/٥) .

ب _ فائدة معرفة سبب النزول .

أولاً : منها فهم معنى الآية فهماً صحيحاً وهو معنى ما قال "شيخ الإسلام تيمية[١] "معرفة سبب النزول تعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب[٢]" ولا ذكر لك مثالاً من أمثلة متعددة كان فهم السبب فيها عوناً على فهم المراد ، ذلك أن عروة بن الزبير[٣] فهم عدم فرضية السعي بي الصفا والمروة فهما من ظاهر آية {أن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما[٤] الآية قد نفت الجناح "الاثم" ونفي الأثم لا يفيد الفرضية بظاهره فردت عليه عائشة رضي الله عنها وبينت له أن الصحابة كانوا قد تأثموا من السعي بينهما لأنه من عمل الجاهلية فنزلت الآية لنفي ما توهموه وهو الاثم على من سعى بينهما[٥] وغير ذلك كثير .

ثانياً : معرفة حكمة الله تعالى فيما شرع من الأحكام ويتبين ذلك لك مما يأتي :

—

ذلكم أن معرفة سبب النزول في الآية الآتية يفيد في معرفة الحكمة من تشريع الحكم الذي تضمنته آية الأحزاب {وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك} إلى قوله : {فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولاً[٦] .

والحكمة في هذا التشريع ذكرها الله بقوله:{لكيلا يكون على المؤمنين حرج} إلخ.

ثالثاً : معرفة من نزلت فيه الآية وتعيين المبهم فيها ولذلك أمثلة كثيرة في القرآن

---

١ _ تقدمت ترجمته صفحة (١٧) .

٢ _ مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٣٩/١٣) .

٣ _ عروة بن الزبير بن العوام أبو عبد الله المدني مات سنة أربع وتسعين وقيل مائة : انظر : طبقات ابن سعد (١٧٨/٥) وفيات الأعيان (٢٥٥/٣) .

٤ _ سورة البقرة : الآية (١٥٨) .

٥ _ صحيح البخاري (٩٩٧/٣) ومسلم (٢١/١٠) موطأ مالك (٣٧٣/١) سنن أبي داود (٤٥٢/٢) النسائي (٢٢٧/٥) ابن ماجه (٩٩٤/٢) البيهقي في السنن الكبرى (٩٦/٥) .

٦ ــ سورة الأحزاب ، الآية (٣٧) .

كقوله تعالى {ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله[١]} فإن صاحب هذا الفضل هو صهيب بن سنان[٢] .

طريق معرفة سبب النزول

طريق معرفة سبب النزول الرواية الصحيحة :

قال الواحدي[٣] لا يحل القول في أسباب النزول إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب وبحثوا عنها[٤] ومعرفة سبب النزول أمر يحصل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا وربما لم يجزم بعضهم فقال أحسب هذه الآية نزلت في كذا كما روي في قصة شراج الحرة[٥] قال الزبير[٦] فما أحسب هذه الآيات ، إلا نزلت في ذلك

---

١ ــ سورة البقرة : الآية (٢٠٧) .

٢ ــ صهيب بن سنان بن مالك بن عمرو الربعي النمري الصحابي الجليل كناه الرسول ﷺ أبا يحي مات سنة ثمان وثلاثين .

انظر : أسد الغابة (٣٣/٣٢/٣) الاصابة (١٩٥/٢) .

٣ ــ علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متويه الإمام أبو الحسن الواحدي النيسابوري المتوفى سنة ثمان وستين وأربعمائة ، انظر طبقات المفسرين للداوودي (٣٩٤/١) انباه الرواة للقفطي (٢٢٣/٢) .

٤ ــ انظر : الإتقان (٣١/١) .

٥ ــ شراج الحرة بكسر الشين المعجمة جمع شرجة وهي مسايل الماء ،والحرة الأرض الملسة فيها حجارة سود .

٦ ــ الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي الأسدي أبو عبد الله وابن عمة رسول الله وابن أخي خديجة زوج النبي ﷺ وأحد العشرة المبشرين بالجنة قتل شهيداً سنة ست وثلاثين .

انظر : أسد الغابة (١٩٦/٢) الإصابة (٥٤٥/١) .

{فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك[١] وقد قال ابن الصلاح[٢] والحاكم[٣] أن الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل إذا أخبر عن آية أنها نزلت في كذا فإن حديثه مسند وذلك بعد أن يكون قد ذكر سبباً نزلت عقبه والحديث مسند لأن قول الصحابي فيما لا مجال للرأي فيه محمول على سماعه من النبي ﷺ ، ومن أجل هذا قرروا أن رواية الصحابي في هذا النوع ونحوه كالناسخ والمنسوخ له حكم المرفوع[٤] وأما قول التابعي في ذلك فهو مرسل فإذا عزز بمرسل آخر وكان الراوي له من أئمة التفسير قبل إذا صح السند إليه .

---

١ ــ قصة شراج الحرة رواها أحمد في المسند (١٥٦/١) والبخاري في صحيحه (٢٥٤/٨) ومسلم (١٠٧/١٥) والترمذي في سننه (٢٣٨/٥) والنسائي (٢٣٨/٨) أبو داود (٥١/٤) وابن ماجه (٧/١) كلهم عن عروة بن الزبير بن عبد الله بن الزبير حدثه أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير عند النبي ﷺ في شرح الحرة التي يستقون بها النخل فقال الأنصاري سرح الماء يمر فأبى عليهم فاختصموا عند رسول الله ﷺ فقال للزبير اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك فغضب الأنصاري فقال : يا رسول الله إن كان ابن عمتك فتلون وجه الله ﷺ ثم قال يا زبير اسق ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر فقال الزبير والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً}واللفظ لمسلم.

٢ ــ عثمان بن عبدالرحمن الكردي الشهرزوري أبو عمرو تقس الدين المعروف بابن الصلاح توفي سنة ثلاثة وأربعين وستمائة انظر : تذكرة الحفاظ (١٤٣٠/٤) طبقات الحفاظ للسيوطي (٤٩٩) .

٣ ــ محمد بن عبد الله بن حمدويه أبو عبد الله النيسابوري المتوفى سنة خمس وأربعمائة .
انظر : العبر (٩١/٣) تذكرة الحفاظ (١٠٣٩/٣) .

٤ ــ انظر مقدمة ابن الصلاح (٢٢ــ٢٥) توضيح الأفكار (٢٦٢/١) مناهل العرفان (١٣/٢) الإتقان (٣١/١) (١٧٦/٢) .

حكم القول في سبب النزول بغير علم

القول فيه بغير علم لا يجوز فقد روي عن ابن عباس[١] قال قال رسول الله ﷺ "اتقوا الحديث إلا ما علمتم فإنه من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ومن كذب على القرآن من غير علم فليتبوأ مقعده من النار[٢]" .

عبارات الرواة في سبب النزول

للرواة في بيان سبب النزول طريقان :

أحدهما قولهم : ــ سبب نزول هذه الآية كذا .

هذه العبارة نص صريح في بيان سبب النزول .

ثانيهما قولهم : نزلت هذه الآية في كذا .

وهذه ليست نصاً بل هي محتملة لأن يكون الغرض منها بيان ما تضمنته الآية من حكم ولأن يكون الغرض منها بيان سبب النزول .

---

١ ــ تقدمت ترجمته صفحة (١٧) .

٢ ــ رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٢٣/١) وفي سنده عبد الأعلى ابن عامر الثعلبي الكوفي ضعيف تقدم الكلام في صفحة (١٨) وأورده الهيثمي في الزوائد (١٤٦/١) وأعله بعبد الأعلى وضعفه أحمد شاكر في تحقيق المسند (٢٣٥/٤) أما حديث من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار فصحيح رواه أحمد في المسند (١٦٥/١) والترمذي في سننه (٣٥/٥) وقال حسن صحيح وأبو داود

(٣٥٧/٣) ابن ماجة (١٠/١) وعبد الرزاق في المصنف (٢٦١/١١) ورواه البخاري في صحيحه دون قوله "متعمداً" .

قوله : فليتبوأ : أي فليتخذ لنفسه منزلاً يقال تبوأ الرجل المكان إذا اتخذه سكناً .

موقف المفسر من أسباب النزول إذا تعددت

لتعدد الروايات في أسباب النزول أحوال .

١ ــ أن يقول راويان أو أكثر "نزلت هذه الآية في كذا" وكل يقول غير ما يقول الآخر .

هذه العبارة ليست نصاً في بيان سبب النزول فيراد بها التفسير وبيان الحكم ، فإذا كان اللفظ يحتمل قول كل حمل على الجميع ولا منافاة وإلا تعين ما يقتضيه اللفظ وتؤيده الأدلة .

٢ ــ أن يقول أحدهما "نزلت هذه الآية في كذا" ويقول الآخر "سبب نزول هذه الآية كذا" فالعبارة الثانية نص صريح في بيان سبب النزول وعليها المعول في ذلك ، وأما الأولى فلا يعول عليها حينئذ في بيان سبب النزول ، ومثاله ما رواه البخاري[١] عن ابن عمر[٢] أنه قال :"أنزلت نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم[٣] "في إتيان النساء في أدبارهن[٤]" أي في تحريم ذلك .

---

١ ــ تقدمت ترجمته صفحة ( ) .

٢ ــ عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي أبو عبد الرحمن الصحابي الجليل المتوفى سنة أربع وسبعين . انظر صفة الصفوة(٥٦٣/١) تهذيب التهذيب (٣٩٩/٥) .

٣ ــ سورة البقرة ، الآية : (٢٢٣) .

٤ ــ بهذا اللفظ لم يروه البخاري ، بل فيه "عن نافع قال كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يتفرغ منه فأخذت عليه فقرأ سورة البقرة حتى انتهى إلى مكان قال تدري فيما أنزلت قلت : لا قال : نزلت في كذا وكذا ثم مضى ، وفي رواية عن نافع عن ابن عمر :"فأتوا حرثكم أنى شئتم ، قال يأتيها في" هكذا في البخاري (١٨٩/٨) مبهماً دون ذكر أدبارهن ، وقد نقل ابن حجر في الفتح (١٨٩/٨) عن أبي بكر بن العربي في سراج المريدين قوله : أورد البخاري هذا الحديث في التفسير فقال : يأتيها في" وترك بياضاً والمسألة مشهورة صنف فيها محمد بن سحنون جزءاً وصنف فيها محمد بن شعبان كتاباً وبين أن حديث

ابن عمر في إتيان المرأة في دبرها ، وقد استقضيت أدلة هذه المسألة في تحقيق كتاب نكاح للماوردي وهي أطروحة الدكتوراه فراجعه إن شئت .

ولا شك أن هذا من ابن عمر استنباط لبيان الحكم ، وأما ما رواه مسلم[١] عن جابر[٢] حيث قال : كانت اليهود تقول من أتى أمرأته في قبلها من دبرها جاء الولد أحول فنزل قوله تعالى {نساؤكم حرث لكم[٣]} الآية فإنه صريح في ذكر سبب النزول .

٣ ــ أن يذكر كل من الراويين أو أكثر سبباً غير الذي يذكره الآخر ويصرح بذكر السببية وهذا النوع له أربع حالات .

الأولى : أن يذكر أحدهما سبباً ويذكر الآخر سبباً غيره وإسناد أحدهما صحيح والآخر ليس بصحيح فالصحيح هو المعتمد عليه في بيان سبب النزول ومثاله .

ما أخرجه الشيخان وغيرهما أن النبي ﷺ اشتكى فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتته امرأة[٤] فقالت يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك فأنزل الله سورة الضحى إلى قوله فترضى[٥] وما أخرجه الطبراني[٦] وابن أبي شيبة[٧] وعن حفص بن ميسرة[٨] .

---

١ ــ مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري أبو الحسن النيسابوري الإمام الحافظ صاحب الصحيح مات سنة احدى وستين ومائتين ، انظر : البداية والنهاية (٣٦/١١) تذكرة الحفاظ (٥٩١/٢).

٢ ــ تقدمت ترجمته صفحة (٣٩) .

٣ ــ أخرجه البخاري في صحيحه (١٨٩/٨) ومسلم (٦/١٠) وأبو داود (٦١٨/٢) والترمذي (٢١٥/٥) وابن ماجه (٦٢٠/١) والبيهقي في السنن (١٩٤/٧) .

٤ ــ هي أم جميل بنت حرب امرأة أبي لهب ، ذكره ابن حجر في الفتح (٧١١/٨) .

٥ ــ صحيح البخاري (٧١٠/٨) ومسلم .

٦ ــ سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير أبو القاسم الإمام الحافظ الطبراني اللخمي الشامي المتوفى سنة ستين وثلاثمائة : انظر لسان الميزان (٧٣/٣) طبقات المفسرين للداوودي (٢٠٤/١) .

٧ ــ عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن أبي شيبة العبسي أبو بكر الحافظ المتوفى سنة خمس وثلاثين ومائتين . انظر طبقات المفسرين للداوودي (٢٥٢/١) طبقات الحفاظ للسيوطي صفحة (١٨٩) .

٨ ــ هكذا أورده الهيثمي في الزوائد (١٣٨/٧) عن حفص بن ميسرة القرشي وفي الاستيعاب (٢٩٢/٤) حفص بن سعيد ، وقال ابن حجر في الإصابة (٢٩٤/٤) أخرجه ابن أبي شيبة

والطبراني من طريق أبي نعيم عن حفصة عن أمها لذا قال في الفتح (٨/٧١٠) في إسناده من لا يعرف .

عن أمه[١] عن أمها[٢] وكانت خادم[٣] رسول الله ﷺ "إن جرو[٤] دخل بيت رسول الله فمات تحت السرير فمكث رسول الله أربعة أيام لا يترل عليه الوحي فقال ياخولة ، ما حدث في بيت رسول الله ، جبريل لا يأتيني فقلت في نفسي لو هيأت البيت وكنسته فهوت بالمكنسة تحت السرير فأخرجت الجرو فجاء النبي ﷺ ترعد لحيته وكان إذا نزل عليه الوحي أخذته الرعدة فأنزل عليه سورة {والضحى[٥]}والخبر الأول صحيح لذا كان هو المعتمد وقد قال ابن حجر[٦] القصة مشهورة ولكن كونها سبب غريب وفي إسناده من لا يعرف[٧] .

الثانية : أن يستوى الإسنادان مع تعدد السبب ويمكن ترجيح أحدهما على الآخر بوجه من وجوه الترجيح فالراجح هو السبب ، ومثاله ما أخرجه البخاري عن ابن

---

١ ــ لم تعرف كما في الزوائد (٧/١٣٨) .

٢ ــ اسمها خولة كما سيأتي في الحديث وانظر الاستيعاب (٤/٢٩٢) والإصابة (٤/٢٩٤) .

٣ ــ في الأصل "خادمة" والتصويب من الإصابة (٤/٢٩٤) ومجمع الزوائد (٧/١٣٨) والدر المنثور (٨/٥٤١) والخادم وأحد الخدم غلاماً كان أو جارية انظر : مختار الصحاح صفحة (٧١) .

٤ ــ الجرو : بضم الجيم وكسرها ولد الكلب والسباع والمراد في الحديث الأول . .

٥ ــ أورده السيوطي في الدر المنثور(٨م٥٤١) وعزاه لابن أبي شيبة والطبراني وابن مردويه وذكره ابن حجر في الإصابة (٤/٢٩٤) والهيثمي في المجمع (٧/١٣٨) وعزاه الطبراني وقال أم حفص لم أعرفها وقال ابن عبد البر في الاستيعاب (٤/٢٩٢) خولة خادم رسول الله جدة حفص بن سعيد يروي حديثها حفص هذا عن أمه عنهما في تفسير قول الله عزوجل {والضحى}وليس إسناد حديثها في ذلك مما يحتج به ، وبهذا فالحديث ضعيف شديد الضعف .

٦ ــ إمام الحفاظ في زمانه قاضي القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني صاحب الفتح المتوفى سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة .

انظر :دليل تذكرة الحفاظ (٣٨٠) شذرات الذهب (٧/٢٧٠) .

٧ ــ نص كلام ابن حجر في الفتح (٨/٧١٠) "وجدت في الطبراني بإسناد فيه من لا يعرف أن سبب نزولها ــسورة ا لضحىــ وجود جرو كلب تحت سريره لم يشعر به فأبطأ عليه جبريل لذلك

وقصة أبطأ جبريل بسبب كون الكلب تحت سريره مشهورة ولكن كونها سبب نزول هذه الآية غريب بل شاذ مردود بما في الصحيح والله أعلم .

مسعود[١] قال : "كنت أمشي مع النبي ﷺ وهو يتوكأ على عسيب[٢] فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لوسألتموه ، فسألوه عن الروح فنزلت {قل الروح من أمر ربي[٣] الآية وما أخرجه الترمذي[٤] قال : "قالت قريش لليهود أعطونا شيئا" نسأله هذا الرجل فقالوا : أسألوه عن الروح فسألوه فأنزل الله تعالى :{قل الروح من أمر ربي[٥]} الآية ورواية البخاري أرجح من غيرها وراويها حاضر القصة حيث قال أمشي مع النبي ومعه زيادة وصف حيث قال يتوكأ على عسيب وذلك من أسباب الترجيح .

الثالثة : أن يستوى الإسنادان في الصحة ولا مرجح لأحدهما ويمكن الجمع بينهما والأخذ بهما بأن لا يكون بينهما تباعد فيحمل ذلك على تعدد الأسباب لآية واحدة ولا مانع متى كانت الآية مفيدة لحكم السببين ومثاله ما أخرجه البخاري عن ابن عباس[٦] أن هلال بن أمية[٧] قذف امرأته ، عند النبي ﷺ بشريك[٨] فقال النبي ﷺ "البنية أوحد في ظهرك" فأنزل الله تعالى {والذين يرمون أزواجهم و لم يكن لهم شهداء[٩]}الآية

---

١ ــ تقدمت ترجمته صفحة (٣٠) .

٢ ــ العسيب : جريدة النخل .

٣ ــ رواه البخاري (٤٠١/٨) ومسلم (١٣٦/١٧) في صحيحهما والترمذي في السنن (٣٠٤/٥) وقد تقدم صفحة (٤٥) .

٤ ــ محمد بن عيسى بن سورة بن ضحاك أبو عيسى الترمذي الإمام الحافظ صاحب السنن مات سنة تسع وسبعين ومائتين . انظر تذكرة الحفاظ (٦٣٣/٢) تهذيب التهذيب (٣٨٧/٩) .

٥ ــ رواه الترمذي (٣٠٤/٥) عن ابن عباس وقال حسن صحيح غريب وأورده ابن حجر في الفتح (٤٠١/٨) وقال رجال الترمذي رجال مسلم .

٦ ــ تقدمت ترجمته صفحة ( ) .

٧ ــ هلال بن أمية بن عامر بن قيس الأنصاري الواقفي شهد بدراً وأحداً وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك وتيب عليهم : انظر : أسد الغابة (٦٦/٥) الإصابة (٦٠٦/٣) .

٨ ــ شريك بن سحماء بفتح السين وسكون الحاء ، وهي أمه واسم أبيه عبدة بن مغيث بن الجد بن عجلان البلوي حليف الأنصار . انظر أسد الغابة (٣٩٨/٢) الإصابة (١٥٠/٢) .

٩ ــ جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه (٤٤٩/٨) ومسلم (١٢٨/١٠) والترمذي (٣٣١/٥(وابن ماجه في السنن (٦٦٨/١) وأبو داود (٦٨٦/٢) .

وما أخرجه الشيخان ، عن سهل بن سعد[١] قال جاء عويمر[٢] إلى عاصم بن عدي[٣] قال أسأل رسول الله أرأيت رجلاً وجد مع أمرأته رجلاً أيقتله أم كيف يصنع ، فسأل عاصم رسول الله فعاب السائل فأخبر عاصم عويمراً فقال والله لأتين رسول الله فلا سألنه فأتاه فقال القصة فقال النبي ﷺ أنه نزل فيك وفي صاحبك قرآن الليلة وقرأ الآية {والذين يرمون أزواجهم}[٤] الآية .

ويمكن الجمع بينهما على أن أول من جاء يسأل هو هلال وصادف مجيء عويمر قبل إجابته فنزلت الآية في شأنهما[٥] .

الرابعة : أن يستوى الإسنادان في الصحة ولا مرجح لأحدهما ولا يمكن الجمع بينهما والأخذ بهما معاً فيحمل ذلك على تكرر نزول الآية الواحدة عقب كل من السببين أو الأكثر ولا مانع من تكرر النزول تعظيماً لشأن المنزل وتذكيراً به حدوث سببه حتى لا

---

١ ــ سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة الأنصاري الساعدي أبو العباس له ولأبيه صحبة مات سنة ثمان وثمانين وقيل غير ذلك ، انظر : تهذيب التهذيب (٢٥٢/٤) الإصابة (٨٨/٢) .

٢ ــ عويمر بن أبيض العجلاني وقيل هو عويمر بن الحارث بن زيد بن حارثة ابن الجد بن عجلان . انظر أسد الغابة (١٥٨/٤) الإصابة (٤٥/٣) .

٣ ــ عاصم بن عدي بن الجد بن العجلان بن حارثة العجلاني القضاعي أبو عبد الله شهد أحدا وكان رسول الله استعمله على أهل العالية فلم يشهد بدراً مات في ولاية معاوية سنة أربعين : انظر : تهذيب التهذيب (٤٨/٥) الإصابة (٢٤٦/٢) .

٤ ــ رواه البخاري في صحيحه (٤٤٦/٩) ومسلم (١١٩/١٠) وأبو داود (٦٧٩/٢) والدار قطني (٢٧٧/٣) وابن ماجة (٦٦٩/١) والشافعي كما في المسند (٢٥٦) .

٥ ــ قال النووي في شرح مسلم (١١٩/١٠) اختلف العلماء في نزول آية اللعان هل بسبب عويمر العجلاني أم بسبب هلال بن أمية فقال بعضهم بسبب عويمر العجلاني وقال جمهور العلماء سبب نزولها قصة هلال بن أمية ثم قال : "ويحتمل أنها نزلت فيهما جميعاً فلعلهما سألا في وقتين

متقاربين فنزلت الآية فيهما وسبق هلال باللعان فيصدق أنها نزلت في ذا وفي ذاك وان هلالاً أول من لاعن والله أعلم ، وأيده ابن حجر في الفتح (٨/٤٥٠) .

ينسى مثاله ، وقف النبي ﷺ على حمزة[١] رضي الله عنه وقد مثل به المشركون يوم أحد[٢] فقال : لأمثلن منهم بسبعين مكانك فنزلت الآية (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به}[٣] الآية وقالت الأنصار لأن أصبنا منهم مثل هذا لنربين عليهم[٤] فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله الآية {وإن عاقبتم}[٥] الآية .

والسورة كلها مكية ويحمل ذلك على تعدد النزول مرة بمكة وأخرى يوم أحد ، وثالثه ، يوم فتح مكة لعظم شأنها تذكيراً لعباده وتعويداً لهم على العدل الذي يجب أن يكون ديدناً لهم حتى في حالات الظفر والنصر .

تلك حالات ست لتعدد سبب النزول وموقف المفسر منها .

---

١ ــ حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمي القرشي أبو عمار سيد الشهداء عم رسول الله ﷺ واخوه من الرضاعة ، استشهد بأحد سنة ثلاث من الهجرة .

انظر : أسد الغابة (٤٦/٢) الإصابة (٣٥٣/١) .

٢ ــ أحد الجبل المعروف بالمدينة سمي بهذا الاسم لتوحده وانقطاعه عن جبال اخر هنالك وغزوة أحد كانت يوم السبت للنصف من شوال في السنة الثالثة من الهجرة .

٣ ــ أودره ابن كثير في تأريخه (٣٩/٤) والبيهقي في الدلائل (٢٨٦/٣) وابن هشام في السيرة (٤٠/٣) والسيوطي في الدر (١٧٩/٥) وعزاه لابن سعد والبزار وابن المنذر وابن مردوية ، وأورده الهيثمي في الزوائد (١١٩/٦) وقال : رواه البزار والطبراني وفيه صالح بن بشير المزني وهو ضعيف وضعفه البزار كما في الكشف (٣٢٧/٢) .

٤ ــ لنربين عليهم ، أي : لنزيدن في التمثيل بقتلاهم .

٥ ــ أخرجه أحمد في المسند (١٣٥/٥) والترمذي في السنن (٢٩٩/٥) وقال حسن غريب ، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣٥٩/٢) وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .

الموضوع السابع

نزول القرآن منجماً والدليل على ذلك

اختص الله القرآن الكريمن بين الكتب السماوية بإنزاله على محمد ﷺ مفرقاً حسب الحوادث والوقائع أو إجابات لأسئلة وجهت إليه أما للتثبت من رسالته ، أو لمعرفة أمر ، أو لاستيضاح حكم بخلاف الكتب السابقة التي نزلت جملة واحدة مما يدل على أن القرآن نزل مفرقاً ما يأتي .

١ ــ قوله تعالى : { كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً[١] } .

٢ ــ ما دل على وقوع الأسئلة التي حكاها القرآن لنا مما أشرنا إليه آنفاً مثل {يسألونك عن الأهلة[٢]} {يسألونك ماذا ينفقون[٣]} {يسألونك عن الخمر والميسر[٤]} {يسألونك عن الساعة[٥]} {يسألونك عن الروح[٦]} إلى غير ذلك وذلك دليل على نزوله مفرقاً إذ أن الأسئلة كانت في أوقات مختلفة وأزمان متباينة وكذلك تكون الإجابات فيكون منجماً ومفرقاً .

٣ ــ ما ورد في السنة الصحيحة من أن أول ما نزل {اقرأ} ثم {المدثر[٧]} في وقت آخر غير وقت اقرأ ما نقصده من معنى نزوله منجماً .

---

١ ــ سورة الفرقان ، الآية : (٣٢) .

٢ ــ سورة البقرة ، الآية : (١٨٩) .

٣ ــ سورة البقرة ، الآية : (٢١٥) .

٤ ــ سورة البقرة ، الآية : (٢١٩) .

٥ ــ سورة الأعراف ، الآية : (١٨٦) .

٦ ــ سورة الإسراء ، الآية : (٨٥) .

٧ ــ تقدم ذلك صفحة : ( ) .

نزول الكتب السماوية السابقة

نزل كل كتاب من الكتب السابقة جملة واحدة بدليل قوله تعالى : {وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً[١]} فهذه الآية بينت حال المشركين وهو أنهم قالوا لم لم يترل عليه القرآن جملة ، فلو كانت الكتب السابقة نزلت مفرقة لكان الرد عليهم بأنها سنة الله في إنزال الكتب ولكن الرد وقع بغير ذلك فقد بين الحكمة في إنزال القرآن مفرقاً حيث قال : {كذلك لنثبت به فؤادك} الآية فتكون الكتب السابقة قد نزلت جملة .

الحكمة في نزوله منجماً

والآن وقد عرفت عن طريق الأدلة من الكتاب والسنة أن القرآن قد نزل نجوماً مفرقاً فلنبين لك الحكمة في ذلك ملخصة فيما يلي :

١ ــ تثبيت قلب النبي ﷺ وقد بين لنا في قوله تعالى :{لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً[٢]} وتثبيت فؤاده تقوية قلبه ويكون ذلك من طريق تكرر الوحي وتجدده في كل حادثة ونزوله في مناسبات متعددة مما يسر النبي ﷺ ويسليه بما يذكر له من أنباء الأمم السابقة ويجدد التحدي منه لقومه أو بوعده بالنصر ويظهر أثر ذلك كله في قوله ﷺ في أشد المواقف وأحرجها إذ يقول للصديق "لا تحزن إن الله معنا" .

٢ ــ نزول القرآن مفرقاً يمكنه من قراءته على قومه بتؤدة[٣] "وتمهل حيث يصل إلى قرارة نفوسهم وأعماق قلوبهم فيستأصل[٤] ما كان قد تشعبت جذوره[٥] في أفئدتهم وانتشر بينهم من نحو " "وأد البنات[٦] ،وشر الخمر والاستقسام بالأنصاب[٧]

---

١ ــ سورة الفرقان ، الآية : (٣٢) .

٢ ــ سورة التوبة ، الآية : (٤٠) .

٣ ــ التؤدة : التأني والتثبت .

٤ ــ يقال استأصله : إذا قلعه من أصله .

٥ ــ تفرقت أصوله .

٦ ــ دفنهن أحياء .

٧ ــ الأنصاب ، الأصنام .

والأزلام[١] إلى غير ذلك ومن ثم فقد نزل الق{آن على التدريج حتى ينتزع منهم تلك العادات التي يشق عليهم تركها بسهولة ولذا ترى أن السورة قد نزلت أولاً في إصلاح العقيدة وغرس الأخلاق الفاضلة ثم جاء بعد ذلك وبعد أن مهدت نفوسهم واصلحت ــذكر الحلال والحرام وكما يفيد التدريج في نزل العادات الثابتة في النفوس المتغلغلة في القلوب يفيد أيضاً في فهم القرآن وتدبره ثم حفظه وخصوصاً إذا عرفت أنهم كانوا محتاجين لذلك فيقد ابتلى المسلمون في طلائع عصر الإسلام باضطهاد لا يحده وصف ، وأذى لا يستطاع بيانه حدث ذلك في مكة ، ثم كان لهم من اليهود والمنافقين ما كان من ألوان التدبير ، وحبك[٢] المؤامرات الشيء الكثير وكل ذلك يصرف عن الحفظ ويشتت الذهن لولا حكمة الله في التدريج الذي ناسبهم وتلكم هي الحكمة الثانية ذكرها القرآن الكريم في قوله : {وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث[٣]} الآية أي على مهل وتؤدة[٤] .

٣ ــ مجاراة الحوادث في تجددها والحوادث لم تقع جملة فكانت الحكمة تفريق الأحكام الخاصة بها في مثل "حادثة هلال بن أمية[٥]" نزلت فيها {والذين يرمون أزواجهم[٦] الآية وحادثة خولة بنت ثعلبة[٧] نزلت فيها قد سمع الله قول : {التي تجادلك في زوجها[٨]} .

---

١ ــ الأزلام ، قداح الاستقسام .

٢ ــ حبك الشيء إحكامه وإتقانه .

٣ ــ سورة الإسراء ، الآية : (١٠٦) .

٤ ــ التؤدة : التأني ،التثبت .

٥ ــ تقدمت ترجمته صفحة (٥٥) .

٦ ــ تقدم تخريجه صفحة (٥٥) .

٧ ــ تقدمت ترجمتها صفحة (٤٥) .

٨ ــ تقدم تخريجه صفحة (٤٥) .

٤ ــ إجابات السائلين الذين كانوا يسألون كما قد عرفت وفي ذلك دليل على أن النبي ﷺ ما كان يشرع الأحكام من عند نفسه وإنما كانت من لدن حكيم خبير ولكونها من علامات صدقه فقد حملت الكثيرين على تصديقه والإيمان برسالته .

٥ ــ كشف حال المنافقين وفضح ما يبيتون للكيد بالنبي ﷺ وصحبه وهذا الكشف يكون بإنزال القرآن كلما فعلوا ذلك حتى بطل كيدهم ومكن المؤمنين من النصر ومن ذلك قوله تعالى : {ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين[١]}.

بل قد نزلت فيهم سورة بأكملها[٢] وإذا كنت قد عرفت إن القرآن نزل نجوماً وتدريجاً فكيف نوفق بين هذا وبين قوله تعالى {إنا أنزلناه في ليلة القدر[٣]} .

فنقول إن معناه أن أول القرآن نزولاً كان في ليلة القدر ..... والله أعلم .

---

١١ ــ سورة البقرة ، الآية : (٨) .

٢ ــ هي سورة : المنافقون .

٣ ــ سورة القدر ، الآية : (١) .

الموضوع الثامن

جمع القرآن وترتيبه

١ ــ جمعه : يطلق جمع القرآن بمعنيين :

أحدهما حفظه في الصدور :

وثانيهما : كتابته .

فأما جمعه بمعنى حفظه فقد كان النبي ﷺ حريصاً عليه حرصاً أكيداً فهو أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة حيث لم يجلس إلى استاذ ولا تتلمذ على معلوم ومن ثم فقد كان يحفظ القرآن ويتعجل حفظه فوعده الله تعالى أن يحقق له حفظه وقراءته جميعاً {لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه[١]} الآية ، ثم كان يقرءوه ﷺ على الناس تبليغاً لرسالة ربه ، وكان جبريل يعارضه القرآن في كل عام مرة روت ذلك "عائشة[٣] وحفصة[٤] رضي الله عنهما .

وكان الصحابة كذلك حريصين على حفظه يتنافسون فيه ويتسابقون إليه وهو عندهم في المحل الأول وفي المرتبة العليا حتى كانوا يتفاضلون فيهما بينهم بحسب عنايتهم بحفظه .

وأما جمعه بمعنى كتابته ، قد كتب القرآن في صدر الإسلام ثلاث مرات لكل مرة منها ميزاتها ومبرراتها .

١ ــ في عهد النبي ﷺ . ٢ ــ في عهد أبي بكر ﷺ . ٣ ــ في عهد عثمان ﷺ.

أما جمعه بمعنى كتابته في عهد النبي ﷺ فقد كان يأمرهم بكتابة ما يترل عليه من

---

١ ــ سورة القيامة ، الآية (١٦) .

٢ ــ رواه الإمام أحمد في المسند (٢٨٢/٦) والبخاري في صحيحه (٧٩/١١) ومسلم (٦/١٦) والبيهقي في الدلائل (١٦٤/٧) .

٣ ــ تقدمت ترجمته صفحة : (٣٨) .

٤ ــ أم المؤمنين حفصة بنت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما توفيت سنة خمس وأربعين. انظر : الاستيعاب (٢٢٨/٤) صحيح البخاري (١٧٥/٩) .

القرآن ويدلهم على موضع السورة من أختها ، روى النيسابوري[١] عن ابن عباس[٢] قال "كان رسول الله إذا نزلت عليه سورة دعا بعض من يكتب فقال ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا[٣] .

---

١ ــ الحسن بن محمد بن حسين الدين القمي النيسابوري صاحب تفسير غرائب القرآن توفي سنة خمسين وثمانمائة انظر : الإعلام للزركشي (١١٦/٢) .

٢ ــ تقدمت ترجمته صفحة (١٧) .

٣ ــ تفرد بهذا اللفظ النيسابوري في تفسير غرائب القرآن (٢٤/١) ورواه أحمد في المسند (٥٧/١) وابن حبان في صحيحه (٢٦/١) والترمذي في سننه (٢٧٢/٥) وقال حسن صحيح ورواه أبو داود (٤٩٨/١) والبيهقي في السنن الكبرى (٤٢/٢) والحاكم في المستدرك (٣٣٠/٢) وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي كلهم عن يزيد الفارسي قال حدثنا ابن عباس قال قلت لعثمان ما حملكم أن عمتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين ففرقتم بينهما و لم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم "وذكر الحديث وفيه" وكان إذا نزل عليه شيء يدعو بعض من يكتب عنده يقول ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ويتزل عليه الآيات فيقول ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها وكذا وكذا ويتزل عليه الآية فيقول ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا الخ .. فالحديث كما ترى ليس فيه إذا نزلت عليه سورة فقال ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا كما رواه النيسابوري واورده المؤلف مستدلاً به على أن ترتيب السور توقيفي ثم الحديث في إسناده يزيد بن يوسف المصري الفارسي قال ابن حجر في التقريب (٣٨٥) مجهول وكذا قال أبو حاتم كما في تهذيب التهذيب (٣٧٤/٣٧٣/١١) لذا قال أحمد شاكر في تحقيق المسند (٣٢٩/٢) في إسناده نظر بل هو عندي ضعيف جداً "بل هو حديث لا أصل له يدور إسناده على يزيد الفارسي الذي رواه عن ابن عباس "ويزيد الفارسي هذا مختلف فيه أهو يزيد بن هرمز أم غيره ثم سرد ما قيل حول يزيد إلى أن قال : فلا عبرة بهذا كله في هذا الموضع بتحسين الترمذي ولا تصحيح الحاكم ولا موافقة الذهبي وإنما العبرة للحجة والدليل " انتهى تنبيه ، اعلم أن اترتيب الآيات في كل سورة من سور القرآن الكريم توفيقي عن النبي ﷺ وقد نقل بعضهم الإجماع على ذلك منهم الزركشي في البرهان (٢٥٦/١) وأبو جعفر أحمد بن الزبير في مناسباته إذ يقول ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه ﷺ وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين وجزم السيوطي بذلك في الإتقان (٦٠/١) الاجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي ولا شبهة في ذلك" أما ترتيب السور على ما هو عليه الآن فاختلف هل توقيفي أو بإجتهاد من الصحابة أبو بعضه توقيفي والبعض الآخر بإجتهاد ، وقد رجح المؤلف الأول كما سياتي وانظر : تفسير القرطبي (٥٩/١) البرهان للزركشي (٢٥٧/١) الإتقان للسيوطي (٦٠/١) .

وقد كان للوحي كتاب من خيرة الصحابة وفيهم الخلفاء الأربعة[١]ومعاوية[٢] وأبي بن كعب[٣] وزيد بن ثابت[٤]وغيرهم من الأجلاء .

وكتابتهم للقرآن كانت بقدر ما تيسر لهم فكتبوه في العسب[٥] واللخاف[٦] والرقاع[٧] وكان المكتوب يوضع في بيت النبوة كما كتب الصحابة لأنفسهم على هذا الوجه أيضاً .

وقصار القول أنه لم ينقص عهد رسول الله ﷺ إلا والقرآن قد كتب كله بيد[٨] أنه لم يجمع في مصحف واحد لما يأتي :

١ ــ ما كان يترقبه ﷺ من تتابع الوحي إذ لم يعرف انتهاؤه إلا بوفاته ﷺ .

٢ ــ أن ترتيب الآيات والسور ليس على ترتيب النزول فقد كانت الآية تنزل وترتيبها قبل التي نزلت قبلها فلو جمع لكان عرضة للتغيير والتبديل .

٣ ــ كثرة القراء والأمن من الفتن وقلة تيسر أسباب الكتابة .

---

١ ــ أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، رضوان الله عليهم .

٢ ــ معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية القرشي الأموي توفي رضي الله عنه سنة ستين في دمشق . انظر الاستيعاب (٣/٣٩٥) أسد الغابة (٤/٣٨٥) .

٣ ــ أبي بن كعب بن قيس بن عبيد الأنصاري أبو المنذر سيد القراء شهد بدراً والمشاهد كلها توفي سنة تسع عشر . أنظر : أسد الغابة (١/٤٩) الإصابة (١/١٩) .

٤ ــ زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوزان أبو سعيد ويقال أبو خارجة المدني الأنصاري مات سنة خمس وأربعين وقيل غير ذلك ، انظر : فضائل الصحابة للإمام أحمد (١/٣٩٠) تهذيب التهذيب (٣/٣٩٩) .

٥ ــ جريد النخل .

٦ ــ وهي صفائح الحجارة الرقاق .

٧ ــ جمع رقة قد تكون من جلد أو ورق .

٨ ــ بيد : كغير وزنا ومعنى .

الحكمة الباعثة على كتابة القرآن

تتلخص فيما يأتي .

١ ــ تبليغ الوحي على الوجه الأكمل مع تبليغ الشاهد الغائب .

٢ ــ تبليغ الصحابة من بعدهم عن طريق لا يذهبه النسيان ولا يضيع بالموت .

٣ ــ معاضدة المكتوب للمحفوظ ومن ثم فقد كان الحفظ والكتابة مصدرين هامين في كتابة القرآن بعد .

مميزات الكتابة في عهد الرسول

١ ــ لم يكن مجموعاً في مصحف واحد .

٢ ــ لم يكن مرتب السور والآيات كتابة .

٣ ــ أن بعض الصحابة كان قد كتب المنسوخ تلاوة .

الجمع في عهد أبي بكر رضي الله عنه

حتى إذا كان الأمر لأبي بكر ﷺ[١] واستحر[٢] القتل للقراء في موقعة اليمامة[٣] أشار إليه عمر ﷺ عنه بجمع القرآن مخافة أن يموت أشياخ القراء فتحرج أبو بكر من فعل شيء لم يكن قد فعله النبي ﷺ بيد[٤] أن عمر ﷺ لم يزل بأبي بكر حتى شرح الله صدره، بذلك فندبا لهذه المهمة الجليلة زيد بن ثابت[٥] وقال له أبو بكر أنك رجل شاب عاقل

---

١ ــ عبد الله بن عثمان بن عامر بن كعب القرشي التيمي الملقب بالعتيق أبو بكر الصديق ﷺ مات يوم الاثنين في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، أنظر ك المستدرك (٦٢/٣) حلية الأولياء (٢٨/١) .

٢ ــ بتشديد الراء قبلها حاء مفتوحة : أي اشتد وكثر .

٣ ــ المارد بأهل اليمامة هنا من قتل بها من الصحابة في الواقعة مع مسيلمة الكذاب وكان من شأنها أن مسيلمة أدعى النبوة وقوى أمره بعد موت النبي ﷺ بإرتداد كثير من العرب فجهز أبو بكر الصديق خالد بن الوليد في جمع كثير من الصحابة حاربوا أشد محاربة إلى أن خذله الله وقتله وقتل في غضون ذلك من الصحابة جماعة كثيرة قيل سبعمائة وقيل أكثر"انظر :الفتح (١٢/٩).

٤ ــ بيد : كغير وزناً "ومعنى" .

٥ ــ تقدمت ترجمته صفحة ( ) .

ولا نتهمك كنت تكتب الوحي للرسول فتتبع القرآن ، ثم لم يكن زيد بن ثابت بأقل تحرجا من أبي بكر بل كان أشد ، ويظهر ذلك فيما يقوله زيد بن ثابت كما روى البخاري "فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن[١] وأخيراً شرح الله صدره فبدا بالجمع متبعاً ما يأتي :

١ ــ عدم الاقتصار على حفظه أو كتابته أو سماعه .

٢ ــ الرجوع إلى المكتوب في العسب واللخاف والرقاع بين يدي النبي ﷺ .

٣ ــ الرجوع إلى المحفوظ في صدور الصحابة كما كان لا يقبل شيئاً من المكتوب حتى يشهد شاهدان أنه كتب بين يدي رسول الله ﷺ وقد ورد أن أبا بكر قال لعمر وزيد "اقعدا بباب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه[٢] .

ومع أنه كان يحفظ آخر سورة التوبة ويحفظها جمع كثير غامر[٣] من الصحابة فإنه ظل يبحث عنها مكتوبة حتى وجدها عند خزيمة الأنصاري[٤] {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم[٥]} إلى آخر السورة .

---

١ ــ جزء من حديث : رواه البخاري (٣٤٤/٨) والترمذي (٢٨٣/٥) وأحمد في مسنده (١٣/١) وهو في مسند أبي بكر للسيوطي صفحة (٢٣) .

٢ ــ أورده ابن حجر في الفتح (١٤/٩) وقال رجاله ثقات مع إنقطاعه ومثله قال السيوطي في الإتقان (٥٨/١) .

٣ ــ الغامر : الكثير .

٤ ــ خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة الأنصاري الأوسي ذو الشهادتين جعل رسول الله شهادته بشهادة رجلين قتل بصفين سنة سبع وثلاثين ، أنظر : أسد الغابة (١١٤/٢) الإصابة (٤٢٥/١).

٥ ــ جزء من حديث : رواه البخاري (٣٤٤/٨) والترمذي (٢٨٣/٥) وأحمد في المسند (٣/١) وهو في مسند أبي بكر للسيوطي صفحة (٢٣) .

مميزات الجمع في عهد أبي بكر ﷺ

١ ــ جمع القرآن بين دفتي المصحف .

٢ ــ جرد من منسوخ التلاوة .

٣ ــ اقتصر فيه على ما أجمع على تواتره .

وهكذا تم جمع القرآن وحفظه واقر هذه الجمعة[١] كل من المهاجرين والأنصار ، وبقيت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر ثم حفصة[٢] و لم يكن لأبي بكر إلا أن جمع ما كان متفرقاً.

جمع القرآن في عهد عثمان ﷺ

أما في عهد الخلية الثالث عثمان ﷺ[٣] فقد روى أن المعلم جعل يعلم قراءة الرجال والمعلم يعلم قراءة الرجل فجعل الغلمان (يلتقون[٤]) فيختلفون حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين أنفسهم بل تجاوز الأمر على ما هو أشد فلما بلغ ذلك عثمان قال : "أنتم عندي تختلفون فمن نأي[٥] عني في الأمصار[٦] أشد اختلافاً[٧] وهكذا رأى عثمان نفسه ما جد من اختلاف . ثم جاءه حذيفة بن اليمان[٨] كما رواه البخاري عن أنس[٩] وقد

---

١ ــ بفتح الجيم وسكون الميم فعين مفتوحة فتاء مربوطة .

٢ ــ تقدمت ترجمتها صفحة (٦٢) .

٣ ــ عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي قتل ﷺ عنه يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ، أنظر : الإصابة (٤٦٢/٢) حلية الأولياء (٦١/٥٥/١) .

٤ ــ الصواب يتلقون كما هو في الفتح (١٨/٩) فلعله تحريف .

٥ ــ بعد .

٦ ــ المدن .

٧ ــ أورده ابن حجر في الفتح (١٨/٩) والسيوطي في الإتقان (٥٩/١) .

٨ ــ حذيفة بن اليمان بن حسل ويقال بن حسيل بن جابر أبو عبد الله العبسي من كبار الصحابة ﷺ مات سنة ست وثلاثين ، انظر: أسد الغابة (٣٩٠/١) الإصابة (٣١٧/١) .

٩ ــ أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم أبو حمزة الأنصاري الخزرجي خادم رسول الله ﷺ وأحد المكثرين عنه توفي سنة ثلاث وتسعين ، وانظر : الإصابة (٧١/١) أسد الغابة (١٢٧/١) .

كان يغازي أهل الشام في أرمينية[١] واذربيجان[٢] ، وكان قد أفزعه اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان[٣] يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة[٤] أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها ثم نردها إليك فأرسلتها حفصة ، وهنا أمر عثمان زيد بن ثابت[٥] وعبد الله بن الزبير[٦] وسعيد بن العاص[٧] وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام[٨] فنسخوها في المصاحف وقال لهم أن اختلفتم فيشيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا ولما انتهوا رد عثمان الصحف ثم أرسل إلى كل قطر مصحفاً[٩] مرتب الآيات والسور

---

١ ــ بكسر الهمزة وسكون الراء وكسرا لميم بعدها تحتانية ساكنة ثم نون مكسورة ثم تحتانية مفتوحة خفيفة وقد تثقل مدينة عظيمة من نواحي خلاط .

٢ ــ أذربيجان : بفتح الهمزة والذال المعجمة وسكون الراء بعدها تحتانية ساكنة ثم جيم خفيفة وآخره النون وهي الآن تبريز .

٣ ــ تقدمت ترجمته صفحة (٦٩) .

٤ ــ تقدمت ترجمتها صفحة (٦٢) .

٥ ــ تقدمت ترجمته صفحة (٦٤) .

٦ ــ عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي أبو خبيب أحمد العبادلة وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهم قتله الحجاج سنة ثلاث وسبعين ، انظر : أسد الغابة (١٦١/٣) الإصابة (٣٠٩/٢) .

٧ ــ سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن امية القرشي الأموي أبو عثمان كان له يوم مات الرسول تسع سنين مات ﷺ سنة ثلاث وخمسين ، انظر : أسد الغابة (٣٠٩/٢) الإصابة (٤٧/٢) .

٨ ــ عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي أبو محمد الفقهاء السبعة من أهل المدينة له رؤية مات في خلافة معاوية ، انظر : أسد الغابة (٢٨٤/٣) الاستيعاب (٤٢٦/٢) .

٩ ــ جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه (١١/٩) والترمذي في سننه (٢٨٤/٥) .

مكتوباً "بلغة قريش وذلك كله استشارته ﷺ للصحابة رضوان الله عليهم وكان هذا الأمر على ملإ منهم يقول علي ﷺ[١] لو لم يفعل ذلك عثمان لفعلته أنا[٢]

---

١ ــ علي بن أبي طالب بن هاشم بن عبد مناف أبو الحسن القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله وصهره على ابنته فاطمة رضي الله عنهما اشتهد رضي الله عنه في السابع عشر من رمضان سنة أربعين من الهجرة .

انظر أسد الغابة (١٦/٤) حلية الأولياء (١٦/١) .

٢ ــ هذا الأثر أورده النيسابوري في غرائب القرآن (٢٤/١) والسيوطي في الإتقان (٦٠/١) بلفظ "لو وليت لعملت بالمصاحف الذي عمل عثمان" .

الخطة التي رسمها عثمان للجمع

ولقد رسم عثمان للكتاب الطريق السوى في الجمع فأمرهم أن لا يكتبوا إلا ما تحققوا أنه قرآن وعلموا أنه استقر في العرضة الأخيرة ، مما لم تنسخ تلاوته كما كتب بحرف واحد و لم يكتب بالأحرف السبعة كما كان من قبل .

مميزات هذه الجمعة

١ ــ ترتيب السور كما هو الآن ، وأما في عهد أبي بكر ﷺ فقد كان مرتب الآيات فقط .

٢ ــ الاقتصار في المصحف على حرف واحد حرف قريش .

٣ ــ تجريد المصاحف من كل ما ليس قرآناً كالذي كان يكتبه الصحابة رضي الله عنهم توضيحاً للمعنى أو تعليقاً أو نحو ذلك .

٤ ــ تنظيم جمعه لوجوه القرآءات بالرسم أو بالتوزيع فإنه لم تكن حروفه منقوطة ولا مشكولة في هذه الجمعة . والله أعلم .

ب ــ ترتيب القرآن .

ترتيب الآيات توقيفي عن النبي ﷺ[١] وأما ترتيب السور ففيه أقوال ثلاثة[٢] .

١ ــ أنه توقيفي بمعنى أنه لم توضع سورة إلا في المكان الذي أمر به النبي ﷺ وقت تعليمه لهم وسماعهم منه ﷺ حين تلاوته .

وقد : أورد المؤلف هذا الأثر كدليل على أن عثمان استشار الصحابة في جمع القرآن وهو بعيد كل البعد كما ترى ولأن علياً ما قال هذا إلا لقول بعض الصحابة "عثمان حراق مصاحف" ذكره القرطبي في تفسيره (٥٤/١) لكن الدليل على ذلك ما أورده ابن حجر في الفتح (١٨/٩) حيث قال : "اخرج ابن أبي داود بإسناد صحيح من طريق سويد بن غفلة" قال قال علي : "لا تقولوا في عثمان إلا خيراً فو الله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا قال ما تقولون في هذه القراءة فقد بلغني أن بعضهم يقول أن قراءتي خير من قراءتك وهذا يكاد يكون كفراً قلنا فما ترى قال أرى أن نجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف قلنا فنعم ما رأيت" .

١ ــ نقل بعضهم الإجماع على ذلك كما تقدم صفحة ( ) .
٢ ــ انظر : تفسير القرطبي (٥٩/١) البرهان للزركشي (٢٥٧/١) الإتقان (٦٠/١) .

٢ ــ أنه ليس توقيفياً إنما هو عمل إجتهادي من الصحابة رضي الله عنهم بدليل اختلاف مصاحفهم التي كتبوها لأنفسهم ، ويرد على ذلك بأن مصاحف الصحابة ليست مصاحف للتلاوة وإنما مصاحف تعليم وفهم .

٣ ــ ترتيب البعض توقيفي والبعض الآخر اجتهادي ، ومن نحا هذا النحو قال أن بعضه قد علمه الصحابة مرتباً عن النبي ﷺ كالحواميم وطوال المفصل[١] .

والباقي يمكن أن يكون قد فوض الأمر فيه إلى الأمة .

وسند هؤلاء ما وقع بين ابن عباس وعثمان في أمر الأنفال والتوبة وجعلهما في الطوال وعدم الفصل بينهما (بسم الله الرحمن الرحيم[٢]} .

---

١ ــ اعلم أن لسور القرآن أسماء سماها بها رسول الله ﷺ حيث قال : "أعطيب مكان التوراة السبع الطول ، وأعطيت مكان الزبور المئين ، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني ، وفضلت بالمفصل " رواه الإمام أحمد في المسند (١٠٧/٤) وبان جرير في تفسيره (٣٤/١) وأبو داود الطيالسي في مسنده صفحة ( ) والبيهقي في الدلائل (٤٧٥/٥) وأورده السيوطي في الجامع (٥٦٥/١) ورمز له بالحسن وصححه الألباني كما في صحيح الجامع (٣٥٠/١) فالسبع الطول بضم الطاء وفتح الواو جمع طولي كالكبر جمع كبرى ويقال ، الطوال سميت بذلك لطولها وهي "البقرة، آل عمران، النساء ، المائدة ، الأنعام ، الأعراف ، يونس ، وقيل السابعة هي الأنفال مع التوبة" لأنهما نزتا جميعاً في مغازي رسول الله ﷺ وأما المثاني فسبع سور تتلوا السبع الطوال أولها سورة يونس على القول الثاني وآخرها سورة النحل سميت المثاني لأنها ثنت الطول أي تلتها ثم المئون أولها سورة بني إسرائيل وآخرها سورة المؤمنون سميت بذلك لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها ثم المفصل ما يلي المثاني من قصار السور سمي بذلك لكثرة الفصول التي بين السور بالبسملة وأوله سورة (ق) وآخره سوةر الناس وقيل أوله سورة الحجرات وصححه النووي وقيل غير ذلك : وأما طوال المفصل كما ذكر المؤلف فالمراد به إلى سورة عم .وقد يقال لبعض السور الحواميم ، والطوسيم ، أو الطوسين و لم أجد لهذا التسمية أثراً صحيحاً والله أعلم .

انظر : تفسير ابن جرير (٣٤/١) البرهان للزركشي (١٤٦/٢٤٥/١) الإتقان (٦٣/١) غرائب القرآن للنيسابوري (٢٩/٢٨/١) .

٢ ـ ضعيف تقدم تخريجه صفحة ( ) .

والأرجح والله أعلم من هذه الأقوال هو القول بأنه توقيفي فإن المصحف الذي كتب في عهد عثمان لم يخالف أحد من الصحابة فيه حتى الذي كانت عندهم مصاحف مكتوبة على خلاف ذلك ، ولو كان بالإجتهاد لحصل منهم اختلاف ، وأيضاً فإن كون الحواميم نزلت ولاء ومتتابعة بخلاف المسبحات[1] ، دليل على أنه توقيفي ولو كان اجتهادياً ما فصل ولجمعت مع بعضها .

١ ــ المسبحات هي : سورة الحديد ، الحشر ، الصف ، الجمعة ، التغابن ، الأعلى ، سميت بذلك لأن في فواتحهن ما يدل على التسبيح .

الموضوع التاسع

نزول القرآن على سبعة أحرف

١ ــ روى مسلم عن أبي بن كعب[١] أن النبي ﷺ قد أتاه جبريل فقال : "إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف فقال أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك ثم أتاه الثانية فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين فقال النبي ﷺ ما قاله في المرة الأولى ثم جاء به الثالثة فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف فقال النبي ﷺ : مثل ما قال أولاً ثم جاءه الرابعة فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا[٢] .

٢ ــ روى البخاري ومسلم وغيرهما عن عمر بن الخطاب قال : سمعت هشام بن حكيم[٣] يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها وكان رسول الله ﷺ أقرأنيها فكدت أن أعجل عليه ثم أمهلته حتى انصرف ثم لببته[٤] ، بردائه أو برادئي فجئت به رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتنيها فقال رسول الله ﷺ أرسله ، إقرأ فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله ﷺ "هكذا أنزلت ثم قال لي إقرأ فقرأت هكذا أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف "فاقرأوا ما تيسر منه[٥]" والأحاديث في ذلك كثيرة .

---

١ ــ تقدمت ترجمته صفحة ( ) . .

٢ ــ أخرجه مسلم (١٠٣/٦) وابن حبان في صحيحه (٥٩/٢) والنسائي (١٥٢/٢) وأحمد في مسنده (١١٤/٥) وابن أبي شيبة في المصنف (١٣٨/٦) وأبو داود الطيالسي في مسنده صفحة ( ) ولفظ بن أبي شيبة والطيالسي وايما حرف "قرءوا عليه عليه فقد أصابوا" .

٣ ــ هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد القرشي الأسدي رضي الله عنه مات قبل أبيه بمدة طويلة قال أبو نعيم استشهد باجنادين ، انظر : الإصابة (٦١٣/٣) أسد الغابة (٦١/٥) .

٤ ــ لببته : بتشديد الباء الأولى معناه أخذت ، بمجامع ردائه في عنقه وجررته به .

٥ ـ صحيح البخاري ومسلم (٩٨/٦) صحيح ابن حبان (٦١/٢) الترمذي (١٩٣/٥) النسائي (١٥٠/٢) .

وهكذا ورد النقل الصحيح عن النبي ﷺ بتزول القرآن سبعة أحرف وحكم علماء الحديث بصحة ما روي في ذلك بل قال بعضهم[١] بتواتره إذ قد رواه وأحد وعشرون صحابياً[٢] "وأشهد عثمان على سماع حديث نزول القرآن كذلك[٣]" والحديثان يعطيا ما يأتي :

١ ــ الاقتصار على حرف واحد أول الأمر فيه حرج ومشقة في تلاوة القرآن وتفهمه وليس أدل على هذا من قول الرسول ﷺ ثلاث مرات "أسأل الله معافاته ومغرفته[٤] .

وبالتالي يكون نزله على سبعة أحرف فيه تسهيل قراءته وتفهمه .

٢ ــ تخيير الأمة في القراءة بأي حرف مما سمع عن النبي ﷺ .

الحكمة في نزوله كذلك

لقد أدركت آنفاً مدى الحرج الذي يكون لو نزل القرآن على حرف واحد فحين أمر رسول الله ﷺ بأن يقرئ الأمة القرآن على سبعة أحرف كان تسهيلاً عليهم ورفقاً بهم خاصة وأنت تعرف ما كان من تحمس كل فريق للغته وتعدد الأحرف مما ييسر لهم القرآن يتفهمونه ويتدبرونه وهم حين قرأوا مختلفين كان الاختلاف في اللفظ لا في المعنى وكلمة السبعة في الحديث مقصودة ونفس العدد مراد خلافاً لمن قال بأنها قد أشير بها إلى التسهيد والتيسير[٥] .

والدليل على ذلك قول النبي ﷺ حين وصل إلى السبعة "فعلمت أن العدة قد

---

١ ــ منهم : أبو عبيد القاسم بن سلام كما في البرهان (٢١٢/١) للزركشي ، والإتقان للسيوطي (٤٥/١) .

٢ ــ السيوطي في الإتقان (٤٥/١) .

٣ ــ قال في الإتقان (٤٥/١) أخرج أبو يعلى في مسنده أن عثمان قال على المنبر أذكر الله رجلاً سمع النبي ﷺ قال أن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف لما قام فقاموا حتى لم يحصنوا فشهدوا بذلك فقال : "وأنا أشهد معهم" .

٤ ــ جزء من حديث صحيح تقدم تخريجه صفحة ( ) .

٥ ــ ومال إلى هذا عياض ومن تبعه كما في الفتح (٢٣/٩) والإتقان (٤٥/١) قال السيوطي ويرده ما في حديث ابن عباس فإنه يدل على إرادة حقيقة العدد وانحصاره .

انتهت" وقد بين ذلك فيما رواه النسائي[١] عن ر سول الله ﷺ أنه قال : "أن جبريل وميكائيل أتياني فقعد جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري فقال جبريل أقرأ القرآن على حرف فقال ميكائيل استزده حتى بلغ سبعة أحرف[٢] .

وفي حديث أبي بكرة[٣] فنظرت إلى ميكائيل فسكت "فعلمت أنها قد انتهت العدة[٤]"وأذن فحقيقة العدد مرادة كما أسلفنا ولا وجه لعدم اعتبارها .

ما هي الأحرف السبعة وما المراد منها

لقد ذكر العلماء فيها أقوالاً كثيرة[٥] أقدم منها ثلاثة :

١ ــ القول الأول : المراد بالسبعة الأحرف سبع لغات في كلمة واحد تختلف فيها الألفاظ ويظل المعنى واحداً مثل :

"هلم أقبل تعالى ، إليّ ، قصدي ، نحوي ، قربي" فتلك الألفاظ مختلفة عبر بها عن معنى واحد لم يتغير هو طلب الإقبال وليس معنى ذلك أن كل معنى لا بد أن يعبر عنه سبعة ألفاظ إنما إذا كان المعنى يعبر عنه العرب جميعاً بلفظ واحد عبر به كذلك لأن الحكمة تتحق به فلا حاجة إلى تعدد الأحرف ما دام لا يوجد إلا حرف واحد .

---

١ ــ تقدمت ترجمته صفحة ( ) .

٢ ــ جزء من حديث رواه النسائي (١٥٤/٢) وفي الصحيحين البخاري (٢٣/٩) ومسلم (١٠١/٦) أن رسول الله ﷺ قال : "أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف .

٣ ــ نفيع بن الحارث بن كلدة بن عمرو بن ثقيف الثقفي "توفي سنة إحدى وقيل اثنتين وخمسين" . انظر : أسد الغابة (١٥١/٥) إصابة (٥٧١/١) .

٤ ــ حديث أبي بكرة عند أحمد في المسند (٥١/٥) دون هذه الزيادة وقد أورد هذه الزيادة السيوطي في الإتقان (٤٦/١) قال : " الهيثمي في الزوائد (١٥١/٧) حديث أبي بكرة رواه أحمد ورجاله ثقات" .

٥ ــ قال ابن حبان البستي :"اختلف الناس في السبعة الأحرف على خمسة وثلاثين قولاً" ذكر هذا القرطبي في تفسيره (٤٢/١) وابن حجر في الفتح (٢٦/٩) والزركشي في البرهان (٢١٢/١) وأورد السيوطي في الإتقان (٤٥/١) الأقوال جميعها .

٢ ــ القول الثاني : إن الأحرف السبعة عبارة عن سبع لغات تفرقت في القرآن كله وتفسير ذلك أن بعض معانيه دل عليه لفظ من لغة إحدى القبائل العربية المشهورة والبعض الآخر بلفظ من لغة إحدى القبائل العربية المشهورة والبعض الآخر بلفظ من لغة قبيلة اخرى وهكذا إلى سبع لغات ومنه تعرف أن المترل لفظ واحد من لغة واحدة لمعنى واحد ، وليس معنى ذلك أن يكون في الحرف الواحد سبع لغات كما في القول الأول بل هذه اللغات مفرقة في القرآن كله فبعض بلغة قريش ،وبعض آخر بلغة هوازن ،وآخر بلغة اليمن مثلاً ومعنى هذا أن يعبر عن المعنى فيه بحسب الأفصح ويستدلون على هذا بأن كلمة فطر معناها عند غير قريش "بدأ" و"ويبدأ" فهذه لم تكن معروفة لابن عباس حتى سمعها من إعرابي فقال : لقد فهمت معنى قوله : {فاطر السموات والأرض[١]} .

٣ ــ أن حقيقة العدد غير مقصودة بل المراد التسهيل والتيسير وقد عرفت الرد على هذا القول[٢] .

الترجيح

وإنا لنختار الرأي الأول ونرجحه وهو الذي اختاره القرطبي[٣] والنيسابوري[٤] وذلك لما يأتي :

١ ــ هذا القول هو الذي يحقق اليسر والسهولة وهما حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف ويؤيده ما قدمت لك من روايات حملت للمسلمين اليسر والسهولة فإن حمل

---

١ ــ عن ابن عباس قال : "كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها يقول أنا ابتدأتها .

انظر : تفسير القرطبي (١/٤٤) الدر المنثور (٣/٣٥٥) .

٢ ــ صفحة ( ) .

٣ ــ محمد أحمد بن أبي بكر بن فرح بإسكان الراء أبو عبد الله القرطبي الأنصاري الخزرجي المفسر توفي سنة أحدى وسبعين وستمائة ، انظر طبقات المفسرين للسيوطي صفحة ( ) الوافي بالوفيات للصفدى (٢/١٢٢) .

٤ ــ انظر : تفسير القرطبي (٤٢/١) تفسر غرائب القرآن للنيسابوري (٢١/١) وقد تقدمت ترجمته صفحة ( ) .

جميع العرب على أخذ القرآن كل على غير لغته وحملهم على النطق بما لم يعتادوا مشقة عظيمة ، ويدل على ذلك قول النبي ﷺ لجبريل "وأن أمتي لا تطيق ذلك[١] فإذ حملت الأحرف السبعة على التعدد بحسب اللهجات الموجودة كانت أنسب للحكمة وأقرب للسهولة من غيرها من الأقوال .

٢ ــ أنه مؤيد أيضاً باختلاف الصحابة في القراءة وتصويب النبي ﷺ لكل منهم وإذا كان قد ترجح الرأي الأول فأني أعود بك إلى التخيير الذي عرفته في حديث الرسول حيث قال : فأيما ذلك قرأتم أصبتم[٢] لنعرف أن التخيير كان في اللفظ تيسيراً وتسهيلاً ولقد كان التخيير محدداً بما سمعوه عن الرسول ﷺ حيث قال "هكذا أنزلت[٣] " وليس معنى التخيير أن يكون للواحد من الصحابة أن يعبر عن المعنى بكلمة من عند نفسه إلا لذهب الإعجاز {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون[٤]} إنما يقرأ بما سمع عن الرسول .

ولما صارت لقريش السيادة الدينية والدنيوية وكثر من يكتب وعادت لغاتهم إلى لسان رسول الله ﷺ واستطاعوا حفظ هذه الألفاظ والنطق بها آثروا لغة قريش في القراءة ولم يجدوا بعد ضرورة تلح بهم على القراءة بغيرها وأمام زوال هذه الضرورة اختار عثمان رضي الله عنه ومعه الصحابة رضوان الله عليهم أحد الأحرف وهو حرف قريش فكان ذلك إجماعاً من الصحابة على اختيار واحد من بين ما خيروا فيه بادئ الأمر "تسهيلاً وتيسيراً" .

أما القول الثاني فمردود بما يأتي :

١ ــ عدم مطابقته للروايات التي ذكرت إذ أنه لا يتحقق معه اليسر .

٢ ــ أن هذا القول يقتضي أن القرآن أبعاض كل بعض بلغة وذلك لا يتحقق معه دفع الحرج ولا يكون هناك فائدة للتخيير بل كل حينئذا يقرأ باللغة التي يعرفها دون غيرها.

---

١ ــ جزء من حديث صحيح تقدم تخريجه صفحة ( ) .

٢ ــ جزء من الحديث السابق .

٣ ــ جزء من حديث صحيح تقدم تخريجه صفحة ( ) .

٤ ــ سورة الحجر الآية (٩) .

الأحرف السبعة والقراءات السبع

ليست الأحرف السبعة هي القراءات السبع وذلك لأن القراءات السبع ترجع إلى حرف واحد هو حرف قريش (لغتها) وهو أحد الأحرف السبعة بل هو الذي جمع عليه عثمان المصحف[1] والقراءات السبع ناشئة من اختلافهم في حروف يزيدها بعضهم وينقصها بعضهم بسبب أن كلاً منهم اعتمد في قراءته على ما بلغه في مصحفه فإن عثمان ﷺ كان قد كتب تلك الموضوعات في بعض النسخ و لم يكتبها في البعض الآخر للإشعار بأن كل ذلك صحيح وأن القراءة بكل منها جائز وهذا هو السبب في تعدد المصاحف .

١ ــ تقدم ذلك صفحة ( ) .

الموضوع العاشر

القراءات وأشهر القراء

القراءات جمع قراءة وهي المذهب الذي يذهب إليه أحد الأئمة مخالف لغيره في النطق بالقرآن مع إتفاق الروايات عنه .

ضوابط لا بد منها لقبول القراءات

أ ــ موافقة القراءة للعربية ولو بوجه من الوجوه إذا كانت القراءة مما شاع وذاع .

ب ــ موافقة القراءة لرسم احد المصاحف العثمانية ولو كان في بعضها دون بعض مثل قالوا "اتخذ الله في البقرة[١] " بغير واو[٢] ، وهي في المصحف الشامي بواو .

ج ــ صحة سند القراءة بأن يرويها عدل ضابط عن مثله وهكذا حتى الانتهاء .

أنواع القراءات

١ ــ المتواتر .

٢ ــ المشهور وهو ما وافق العربية وأحد المصاحف العثمانية وصح سنده سواء أكان عن الأئمة السبعة أو عن غيرهم وهذان النوعان هما اللذان يقرأ بهما ويجب اعتقادها ولا يحل إنكار شيء منهما .

٣ ــ الآحاد : مثل قراءة "رفارف خضر وعباقر حسان[٣] ولا يقرأ بها ولا يجب إعتقادها .

٤ ــ الشاذ وهو ما لم يصح سند مثل قراءة {ملك يوم الدين} بصيغة الماضي[٤] .

---

١ ــ الآية ( ) .

٢ ــ وهي قراءة ابن عامر كما في كتاب الإقناع لابن الباذش ، والإتقان للسيوطي (٧٥/١) .

٣ ــ قرأ بها عثمان ﷺ والجحدري والحسن وغيرهم كذا في تفسير القرطبي (١٩١/١٧) .

٤ ـ ذكره في الاتقان (١/٧٧) .

أنواع الاختلاف في القراءات

يختلف القراء في القراءات وبالتتبع لهذه الاختلافات وجد أنها لا تخرج عما يأتي :

١ ــ الاختلاف في اللفظ لا في المعنى مثل "خطوات ، وخطوات، بضم الطاء وإسكانها[١] وكفوا ، وكفوء ، بالواو ، والهمزة[٢] .

٢ ــ الاختلاف في اللفظ والمعنى مثل "يخادعون ، يخدعون[٣] ولامستم ولمستم[٤]".

٣ ــ اختلاف في صيغة النطق فحسب دون الاختلاف في اللفظ أو المعنى كالمد والإمالة والإدغام وترقيق اللامات ، والراءات ، وتغليظها ، وأنت تدرك أن الأول والثالث لا يحدث الاختلاف فيهما تغيير في المعنى وأما الثاني فمتى ثبتت كل قراءة بطرق قبول

---

١ ــ من سورة البقرة الآية (١٦٨) قوله تعالى :{ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين} قرأ حفص وابن عامر والكسائي وقنبل بضم الطاء وقرأ الباقون بإسكانها "أنظر: تفسير النسفي (٣٨٥/٢) والإقناع لابن الباذش (٨١٥/٢) .

٢ ــ قرأ حمزة وخلف بسكون الفاء مع الهمز ، وقرأ الباقون بضم الفاء مع الهمزة .

٣ ــ من قوله تعالى في سورة البقرة الآية (٩) {يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون} قرأ نفع وابن كثير أبو عمرو في الموضعين يخادعون لتجانس اللفظان ، وقرأ حمزة والكسائي وبان عامر يخدعون في الثاني انظر : تفسير القرطبي (١٩٦/١) كتاب الإقناع لابن الباذش (٥٩٧/٢) .

٤ ــ من قوله تعالى في سورة النساء الآية (٤٣) { وإن كنتم مرضى أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء ، فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً} قرأ حمزة والكسائي بغير ألف وقرأ الباقون بالألف ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية "ومن القراءات ما يكون المعنى فيها متفقاً من وجه متبايناً من وجه كقوله "يخدعون ، ويخادعون ، " ويكذبون ، ويكذّبون" ولمستم ، ولامستم " وحتى يطهر ، يطهرن" ونحو ذلك فهذه القراءات التي يتغاير فيها المعنى كلها حق وكل قراءة منها مع القراءة الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها وإتباع ما تضمنته من المعنى علماً وعملاً ولا يجوز ترك موجب إحداهما لأجل الأخرى ظناً أن ذلك تعارض بل كما قال عبد الله بن مسعود ﷺ "من كفر بحرف منه فقد كفر به كله" انتهى .

انظر تفسير القرطبي (٢٢٣/٥) الأقناع لابن الباذش (٦٣٠/٢) الإتقان للسيوطي (٨٢/١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٩١/١٣) .

القراءة كما عرفت آنفاً وجب قبول كل منها مع اعتقاد أن كلا منها حق .

السبب في اختلاف القراءات

حينما أرسل عثمان المصاحف إلى الجهات كان بكل اقليم جماعة من الصحابة يأخذ عنهم الناس القرآن و لم يكن المصحف منقوطاً ولا مشكولاً فثبتوا على ما أخذوه من طريق السماع عن الصحابة الذي عندهم بشرط أن يكون موافقاً للمصحف والعربية وتركوا ما يخالف خط المصحف الذي بأيديهم ومن هنا نشأ الاختلاف بين القراء في الأمصار مع تمسكهم بحرف واحد هو حرف قريش .

فائدة اختلاف القراءات

إن لاختلاف القراءات وتنوعها مع السلامة من التناقض فوائد كثيرة نلخص لك بعضها :

١ ــ الجمع بين حكمين كقراءة يطهرن ــويطهرن[١] جمع بينهما بأن الحائض لا يقر بها زوجها حتى ينقطع حيضها وتطهر بالاغتسال .

٢ ــ بيان المراد من حكم القراءة الأخرى مثل {فأسعوا إلى ذكر الله[٢]} فظاهر الآية يفيد المشي بسرعة ولكن قراءة "امضوا[٣]" بينت أن المراد مجرد الذهاب .

٣ ــ إعظام أجر هذه الأمة لبذلهم الجهد في تتبع معاني القراءات المختلفة واستنباط الحكم والأحكام من دلالة كل لفظ .

---

١ ــ قرأ حمزة ، والكسائي ، بتشديد الطاء والهاء مع فتحها وقرأ الباقون بسكون الطاء وضم الهاء أنظر : تفسير القرطبي (٨٨/٣) الإقناع لابن الباذش (٦٠٨/٢) .

٢ ــ سورة الجمعة ، الآية (٩) .

٣ ــ امضوا إلى ذكر الله "هذه القراءة رويت عن عمر وأبي بن كعب وابن مسعود وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم وقرأ بها ابن شهاب ، انظر : القرطبي(١٠٢/١٨) الدر المنثور (١٦١/٨) مصنف عبد الرزاق (٢٠٧/٣) والبيهقي في السنن الكبرى (٢٢٧/٣) .

٤ ــ اتصال سند هذه الأمة في القرآن فإن قراءة اللفظ الواحد بقراءات مختلفة مع اتحاد خطه وخلوه من الشكل والنقط متوقف على السماع والتلقي وهي أقوى ما يكون في صحة الإسناد .

٥ ــ وفي اختلاف القراءات إعجاز مصحوب بالإيجاز ، فإن القراءة مع القراءة كالآية مع آية أخرى لأن للألفاظ المختلفة دلالات متعددة فتقوم القراءات مقام الآيات التي لو تعددت للدلالة على المعاني المختلفة لكانت تطويلاً ن وكثيراً ما تتجلى في الإيجاز قوة الإعجاز .

والقراءات السبع المنسوبة للأئمة السبعة المعروفين وهم نافع ، عبد الله بن كثير ، وأبو عمرو بن العلاء ، وعبد الله بن عامر ، عاصم ، وحمزة ، والكسائي[١] .

سبب الاقتصار على هذه القراءات السبع أو سبب شهرة هذه القراءات

ومع أن في أئمة القراء من هو أجل من هؤلاء أو على الأقل مثلهم إلا أهن ابن مجاهد[٢] حينما أراد جمع القراءات على رأس الثلاثمائة وجد نفسه أمام رواة كثر عددهم جداً فرأى أن يأخذ منهم من عرف بالثقة والأمانة وطول العمر في ملازمة القراء فكان له هذا العدد ، وبعض الناس زاد ثلاثة أخرين هم ، يعقوب ، وأبو جعفر وخلف [٣]وهؤلاء هم المكلمون للعشرة ، وإليك تعريفاً بكل منهم .

١ ــ نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني[٤] انتهت إليه رياسة الأقراء

---

١ ــ سيذكر المؤلف ترجمتهم صفحة (٨٩) .

٢ ــ أحمد بن موسى بن العباس أبو بكر بن مجاهد التميمي البغدادي أو من سبع السبعة القراء توفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة ، أنظر : غاية النهاية (١٤٢/١) طبقات القراء لأبن الجزري (١٣٩) .

٣ ــ سيترجم لهم المؤلف : صفحة (٩٢) .

٤ ــ له ترجمة في "الاقناع في القراءات السبع" لابن الباذش (٥٥/١) وتهذيب التهذيب (٤٠٧/١٠) .

بالمدينة توفي سنة تسع وستين ومائة راوياة قالون[١] وورش[٢] .

٢ ــ ابن كثير أو محمد عبد الله المكي[٣] إمام الناس في القراءة بمكة من غير منازع توفي سنة عشرين ومائة ، وراوياه البزي[٤] وقنبل[٥] .

٣ ــ أبو عمر زياد بن العلاء البصري[٦] من أعلم الناس بالقراءة مع الصدق والأمانة والثقة في الدين توفي سنة أربع وخمسين ومائة ، وأخذ عنه الدوري[٧] والسوسي[٨] .

٤ ــ ابن عامر عبد الله بن عامر اليحصبي[٩] ويحصب فخذ من حمير وهو تابعي

---

١ ــ عيسى بن مينا وردان بن عيسى أبو موسى المدني وقالون بلسان الروم معناه الجيد : مات سنة خمس ومائتين في أيام المأمون ، أنظر : ترجمته في كتاب الإقناع لابن الباذش (٥٨/١) طبقات القراء لابن الجزري (٦١٥/١) .

٢ ــ عثمان بن سعيد بن عدي بن غزوان بن داود المصري مولى آل الزبير بن العوام أبو سعيد وقيل أبو عمرو ، وورش لقب له قيل لقب به لشدة بياضه ، والورش شيء يصنع من اللبن ، أنظر طبقات القراء لابن الجزري (٥٠٢/١) والإقناع لابن الباذش (٥٧/١) .

٣ ــ له ترجمة في معرفة القراء الكبار للذهبي (٧٢/١) كتاب الإقناع لابن البذاش (٧٧/١) .

٤ ــ أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة أبو الحسن البزي توفي سنة أربعين ومائتين . أنظر : غاية النهاية ابن الجزري (١٢٠/١) القراء الكبار (١٤٨/١) .

٥ ــ محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن سعيد بن جرجة المكي المخزومي أبو عمرو الملقب بقنبل قيل هم أهل بيت بمكة يعرفون بالقنابلة توفي سنة إحدى وتسعين ومائتين ، أنظر : كتاب الإقناع الابن الباذش (٧٩/١) .

٦ ــ له ترجمة في معرفة القراء للذهبي (٨٤/١) غاية النهاية (٢٨٩/١) وقد اختلف في اسمه اختلافاً كثيراً حتى قال الجاحظ في البيان والتبين (٣٢١/١) اسمه كنيته وهذا القول مروي عن الأصمعي وعبد الوهاب بن عطاء الخفاف كذا في الإقناع لابن الباذش (٩٣/١) .

٧ ــ حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان أبو عمر الدوري الأزدي ونسب إلى الدور موضع ببغداد توفي سنة ست وأربعين ومائتين ، أنظر : الإقناع لابن الباذش (٩٤/١) .

٨ ــ صالح بن زياد بن عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن الجارود أبو شعيب السوسي نسبة إلى السوس كورة بالأهواز توفي سنة إحدى وستين ومائتين ، أنظر : الاقناع لابن الباذش (٩٥/١) .

٩ ــ له ترجمة في : معرفة القراء للذهبي (٦٧/١) .

توفي سنة ثمان عشر ومائة ، وراوياه هشام[١] وابن ذكوان[٢] .

٥ ــ عاصم أبو بكر عاصم بن أ[ي النجود[٣] جمع بين الفصاحة والإتقان توفي سنة سبع وعشرين ومائة ، وراوياه أبو بكر شعبة[٤] وحفص[٥] .

٦ ــ حمزة بن حبيب الزيات[٦] كان ورعاً عالماً بكتاب الله مجوداً له عارفاً بالفرائض والعربية تتوفي سنة ست وخمسين ومائة ، راوياه خلف[٧] وخلاد[٨] .

٧ ــ الكسائي أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي النحوي[٩] المتوفي سنة تسع وثمانين ومائة . وراوياه أبو الحرث[١٠] والدوري[١١] .

---

١ ــ هشام بن عمار بن نصير بن أبان بن مسيرة أبو الوليد السلمي الدمشقي القاضي الخطيب توفي سنة خمس وأربعيون ومائتين ، أنظر : الإقناع لابن الباذش (١٠٦/١) .

٢ ــ عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان أبو عمر القرشي الفهري الدمشقي توفي سنة اثنتين وأربعين ومائتين . أنظر : غاية النهاية لابن الجزري (٤٠٤/١) .

٣ ــ له ترجمة في غاية النهاية (٣٤٦/١) .

٤ ــ أبو بكر شعبة بن عياش بن سالم الحناط الكوفي الأسدي الكاهلي توفي سنة ثلاث وتسعين ومائة أنظر : غاية النهاية (٣٢٦/١) المعارف لابن قتيبة (٩٠٥) .

٥ ــ أبو عمر حفص بن أبي داود سليمان بن المغيرة الأسدي الكوفي توفي سنة سبعين ومائة ، أنظر غاية النهاية (٢٥٥/١) الإقناع لابن الباذش (١١٧/١) .

٦ ــ الكوفي التيمي ، له ترجمة في غاية النهاية لابن الجزري (٢٦٣/١) الإقناع لابن الباذش (١٢٥/١) والزيات لقب له قيل لأنه كان يجلب الزيت من العراق إلى حلوان .

٧ ــ أبو محمد خلف بن هشام بن طالب بن غراب الصلحي البغدادي نسبة إلى فم الصلح نهر كبير فوق واسط توفي سنة تسع وعشرين ومائتين "أنظر: الإقناع لابن الباذش (١٢٦/١) وتهذيب التهذيب (١٥٦/٣) .

٨ ــ خلاد بن خالد أبو عيسى الشيباني الكوفي (١٣٨/١) وتهذيب التهذيب (٣١٣/٧) .

٩ ــ له ترجمة في كتاب الإقناع لابن الباذش (١٣٨/١) وتهذيب التهذيب (٣١٣/٧) .

١٠ــ الليث بن خالد المروزي البغدادي توفي سنة أربعين ومائتين ، انظر : كتاب الإقناع (١٤٠/١) غاية النهاية (٣٤/٢) .

١١ ـ تقدمت ترجمته صفحة ( ) .

بقية العشرة

٨ ـ أبو جعفر يزيد بن القعقاع القاري[١] توفي سنة ثلاث وثلاثين ومائة .

٩ ـ يعقوب بن إسحاق الحضرمي[٢] توفي سنة خمس وثمانين ومائة .

١٠ـ خلف :أبو محمد خلف بن هشام[٣] .

هذا ما من الله به على عبده الفقير إلى مدده وعونه ، وقد راعيت فيه الاقتضاب[٤] والاختصار ، ليوافق الطلاب ويسهل لهم المراجعة وفي كفاية أستاذ المادة ما يشرح لهم غامضه[٥] ، ويبسط لهم ما لا يتسع له ذهنهم ، والله ولي التوفيق[٦] .

اللهم يا كريم يا منان اجعل القرآن لنا شفاء ونورا نستضيء به إذا عميت السبل وتشعبت[٧] الطرق ، واجعله لنا لا علينا ، والحمد لله على ما به أنعم وأعان وهدى وسدد وأسألك يا إلهي أن تجعل

---

١ ـ المخزومي المدني له ترجمة في تهذيب التهذيب (٥٨/١٢) .

٢ ـ له ترجمة في تهذيب التهذيب (٣٨٣/١١) طبقات القراء لابن الجزري (٣٨٦/٢) وقال توفي سنة خمس ومائتين .

٣ ـ تقدمت ترجمته صفحة (٩١) .

٤ ـ اقتضاب الكلام ارتجاله يقال : اقتضبت الحديث والشعر تكلمت به من غير تهيئة أو إعداد له : والمؤلف أراد به الإيجاز .

٥ ـ الغامض من الكلام ضد الواضح .

٦ ـ التوفيق هو خلق قدرة الطاعة في العبد وتسهيل سبيل الخير إليه .

٧ ـ تفرعت .

فيما كتبت في هذه المادة فائدة[1] لمن قرأها كما أسألك لي وله التوفيق والنجاح واخلير والفلاح إنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير .

وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم ،،، .

عبد الحكيم محمد سرور

---

١ ــ الفائدة لغة ما استفيد من علم أو مال أو جاه وعرفاً المصلحة المترتبة على الفعل من حيث أنها ثمرته ونتيجته .

أسئلة للتمرين

١ ــ بأي اعتبار كان الإلهام الغريزي وإلهام الخواطر من الوحي .

٢ ــ اشرح معنى الوحي ، وكيف تفرق بينه وبين الإلهام .

٣ ــ كم نوعاً للوحي ؟ في القرآن آية جمعت هذه الأنواع فما هي ؟

كيف تأخذ منها هذه الأنواع ، ومن أي هذه الأنواع كان كلام الله سبحانه مع محمد ﷺ ليلة الإسراء .

٤ ــ في حديث النواس بن سمعان[١] وردت الفقرات الآتية فعلام تدل كل واحدة منها ؟

أ ــ "إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي" .

ب ــ فيكلمه الله من وحيه بما أراد .

ج ــ أخذت السموات منه رجفة شديدة[٢] .

وما الذي يدل عليه هذا الحديث .

٥ ــ كيف ينقل الملك الوحي إلى الرسول ؟ وما هي أشد الحالات عند إتصال الملك بالرسول .

٦ ــ إذا تتبعت سور القرآن وجدت منها المكي والمدني فما السبب في هذا ؟

وعلى أي شيء تعتمد في معرفة المكي والمدني ؟ وما الحد الفاصل بينهما ؟

اذكر اصطلاحات العلماء في ذلك وأيها ترجح ؟ ولماذا نعنى بدراسة هذ النوع ؟

٧ ــ أمامك بعض الآيات انسبها إلى القسم الذي ترى نسبتها إلى صحيحة من المكي والمدني {كلا لو تعلمون علم اليقين[٣] {وأما من خفت موازينه فأمه هاوية[٤]

---

١ ــ تقدمت ترجمته صفحة (٢٦) .

٢ ــ هذه الفقرات جزء من حديث حسن تقدم تخريجه صفحة (٢٦) .

٣ ــ سورة التكاثر الآية (٥) .

٤ ــ سورة القارعة الآية (٨ــ٩) .

{ ص والقرآن ذي الذكر[١]} {والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء[٢]} الآية . {ولله يسجد من في السموات والأرض[٣]}الآية {خلق الإنسان من نطفة[٤]} {فسجد الملائكة كلهم أجمعون ، إلا إبليس[٥]} الآية ، {يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل[٦]} وجه ما تقول .

٨ ــ روي عن عائشة[٧] رضي الله عنها قالت "أول سورة نزلت من القرآن أقرأ[٨] وروي عن جابر[٩] أنه قال : أول ما نزل {يا أيها المدثر[١٠]} .

فكيف توفق بين منطوق هذين الأثرين وإذا رجحت احد الرأيين فلماذا ؟

٩ ــ للعلماء في آخر ما نزل أراء ، أذكر ثلاثة منها يكون من بينها الأرجح وبين سبب الترجيح وكيف ترد على ما قيل من آراء في هذا ؟

١٠ــ ما معنى سبب النزول و لم نعنى بدراسته ؟ وهل يعتبر القصص في القرآن من ضمن أسباب النزول ؟ وما الفرق بين قولهم "سبب نزول الآية كذا" "ونزلت في كذا" .

١١ــ إذا تعددت أسباب النزول فما موقف المفسر منها أذكر ثلاثة حالات توضح بها ما تقول .

١٢ــ أردت أن تبين لإنسان الحكمة في "نزول القرآن منجماً" فماذا تقول له ؟ استشهد بالآيات والأحاديث التي توضح ما تقول .

---

١ ــ سورة ص الآية (١) .

٢ ــ سورة النور الآية (٥) .

٣ ــ سورة الرعد الآية (١٥) .

٤ ــ سورة النحل الآية (٤) .

٥ ــ سورة ص الآية (٧٣ ــ ٧٤) .

٦ ــ سورة النساء الآية (٢٩) .

٧ ــ تقدمت ترجمته صفحة (٣٨) .

٨ ــ صحيح تقدم تخريجه صفحة (٣٨) .

٩ ــ تقدمت ترجمته صفحة (٣٩) .

١٠ــ صحيح تقدم تخريجه صفحة (٣٩) .

١٣ــ ما هي الحكمة الباعثة على كتابة القرآن ، أذكر ميزتين من ميزات جمعه أبي ﷺ .

١٤ــ ما هي الأسباب التي كانت من دوافع قبول أبي بكر لفكرة جمع القرآن وأي مهمة قام بها زيد بن ثابت .

١٥ــ أذكر أساسين اثنين من الأسس التي ابتعها زيد عند جمعه القرآن .

١٦ــ بم امتازت جمعة عثمان ، ﷺ وما هي الدوافع إليها ، أذكر الخطة التي رسمها للجمع .

١٧ــ ما معنى نزول القرآن على سبعة أحرف ، وما الحكمة في نزوله كذلك .

١٨ــ يخلط بعض الناس بين القراءات السبع والأحرف السبعة فكيف تفرق بينهما؟

١٩ــ إذا استمعت إلى قراءات مختلفة فما الضابط الذي تكون به القراءة مقبولة ؟ عرف القراءة المشهورة ومن أي نوع من أنواع القراءات "ملك يوم الدين" بصيغة الماضي.

٢٠ــ ماذا تستفيد من درسك للإختلاف في القراءات ؟ أذكر اثنين من الذين نسبت إليهم القراءات السبع هذه الأسئلة لتدريب الطالب نفسه بعد أن يكون قد أم بموضع مادته .

والله المستعان وهو ولي التوفيق ،،، .

مراجع التحقيق

اسم الكتاب :

١ ــ الإتقان في علوم القرآن للسيوطي : مطبعة مصطفى الحلبي الطبعة الثالثة (١٣٧٠) .

٢ ــ الاستيعاب في أسماء الأصحاب لابن عبد البر بهامش الإصابة : مطبعة دار إحياء التراث الطبعة الأولى .

٣ ــ أسد الغابة في معرفة الصحابة : لابن الأثير مطبعة دار إحياء التراث العربي .

٤ ــ الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر : مطبعة دار إحياء التراث العربي .

٥ ــ إعجام الإعلام لمحمود مصطفى : مطبعة دار الكتب العلمية الطبعة الأولى .

٦ ــ الاقناع في القراءات السبع لابن الباذش مطبعة دار الفكر الطبعة الأولى .

٧ ــ البداية والنهاية لابن كثير مطبعة دار الكتب العلمية الطبعة الأولى .

٨ ــ البرهان في علوم القرآن للزركشي مطبعة دار المعرفة .

٩ ــ تحقيق مسند احمد لأحمد شاكر مطبعة دار المعارف .

١٠ــ تذكرة الحفاظ للذهبي مطبعة دار إحياء التراث دار الكتب العلمية .

١١ــ تفسير القرآن العظيم لابن كثير مطبعة دار المعرفة .

١٢ــ تفسير الطبري ــجامع البيان عن تأويل آي القرآن مطبعة دار المعرفة .

١٣ــ تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن مطبعة دار الكتاب العربي .

١٤ــ تفسير غرائب للنيسابوري مطبعة دار المعرفة .

١٥ــ تفسير النسفي ــمدارك التنزيل وحقائق التأويل مطبعة دار الفكر .

١٦ــ تقريب التهذيب لابن حجر : دار نشر الكتب الإسلامية .

١٧ــ تهذيب التهذيب لابن حجر : مطبعة مجلس دائرة المعارف بالهند .

١٨ــ الجامع الصغير للسيوطي مطبعة مصطفى محمد الطبعة الثانية .

١٩ــ حسن المحاضرة للسيوطي المطبعة الشرفية .

٢٠ــ الحلية لأبي نعيم مطبعة دار الكتب العلمية .

٢١ــ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر حيدر آباد .

٢٢_ الدر المنثور للسيوطي مطبعة دار الفكر .
٢٣_ دلائل النبوة للبيهقي مطبعة دار الكتب العلمية .
٢٤_ سنن أبي داود مطبعة دار الحديث الطبعة الأولى (١٣٨٩) .
٢٥_ سنن الترمذي مطبعة دار إحياء التراث .
٢٦_ سنن ابن ماجه مطبعة دار إحياء التراث .
٢٧_ سنن الدار قطني مطبعة دار المحاسن .
٢٨_ السنن الكبرى للبيهقي مطبعة دار المعرفة .
٢٩_ سنن النسائي مطبعة المكتبة العلمية .
٣٠_ سيرة ابن هشام مطبعة دار الجيل .
٣١_شذرات الذهب لابن العماد مطبعة دار الفكر .
٣٢_ شرح مسلم للنووي المطبعة المكدية .
* صحيح مسلم المطبعة المكدية مع شرح النووي .
٣٣_ صحيح البخاري المطبعة السلفية ١٣٨٠ مع الفتح .
٣٤_صحيح الجامع للألباني طبع المكتب الإسلامي .
٣٥_ صحيح ابن حبان مطبعة دار الفكر الطبعة الأولى .
٣٦_الضعفاء الصغير للبخاري مطبعة عالم الكتب .
٣٧_ الضعفاء والمتروكون للدار قطني مكتبة المعارف .
٣٨_ ضعيف الجامع للألباني مطبعة المكتب الإسلامي .
٣٩_طبقات الحفاظ للسيوطي مطبعة الاستقلال الكبرى .
٤٠_ طبقات المفسرين للداوودي مطبعة دار الكتب العلمية .
٤١_عون الباري لحل أدلة البخاري مطبعة دار الرشيد .
٤٢_ غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري عناية برجستر أسر (١٩٦٩) .
٤٣_ غريب الحديث لأبي عبيد مطبعة دار الكتاب العربي .
٤٤_ فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية مطبعة كردستان .
٤٥_فتح الباري لأبن حجر المطبعة السلفية .

٤٦_ فيض القدير للمناوي مطبعة مصطفى محمد .
٤٧_القاموس المحيط بترتيب أحمد الزاوي مطبعة دار الكتب العلمية .
٤٨_لسان العرب لابن منظور مطبعة دار صادر .
٤٩_ مجمع الزوائد للهيثمي مطبعة دار الكتاب العربي
٥٠_ مختار الصحاح للرازي مطبعة دار الكتاب .
٥١_مسند الإمام أحمد مطبعة دار الفكر .
٥٢_مسند أبي داود الطياليس مطبعة دار المعرفة ز
٥٣_المستدرك للحاكم النيسابوري دار الباز للنشر .
٥٤_مشكاة المصابيح للتبريزي مطبعة المكتب الإسلامي .
٥٥_المصباح المنير للمقري مطبعة مصطفى البابي الحبي .
٥٦_المصنف لعبد الرزاق المكتب الإسلامي .
٥٧_المصنف لابن أبي شيبة مطبعة الدار السلفية .
٥٨_النهاية في غريب الحديث لابن الأثير مطبعة دار الفكر .

فهرس كتاب
السفير أصول التفسير

الموضوع	الصفحة
مقدمة المحقق	٢
تقديم الكتاب للمؤلف	٧
منهج الدراسة	٩
أصول تفسير القرآن (مقدمة)	١١
علوم القرآن وتاريخ ظهورها	١١
متى كان ظهور هذا العلم	١٣
بعض المؤلفين : الكافيجي ، البلقيني ، الزركشي ، السيوطي	١٤
أصول التفسير ، تعريفه	١٦
الأصول الصحيحة للتفسير	١٦
تفسير القرآن بالقران ، وبالسنة وتفسير بأقوال الصحابة	١٦
التفسير بمجرد الرأي القول الوسط في التفسير بالرأي	١٨
علاقة علم أصول التفسير	٢٠
الموضوع الثاني	
القرآن الكريم بحث لغوي	٢١
تعريف القرآن أسماء القرآن	٢٢
الموضوع الثالث	
الوحي ومعناه	٢٣
أنواع الوحي	٢٤
وحي الله إلى الملك	٢٥
كيفية وحي الله إلى الرسل	٢٦
كيفية وحي الملك إلى الرسول	٢٦

الموضوع	الصفحة
الموضوع الرابع	
المكي والمدني	٢٨
فائدة دراسته	٢٨
مصادر معرفته	٢٨
اصطلاحات العلماء في المكي والمدني	٢٩
مميزات المكي والمدني	٣٠
ضوابط المكي	٣١
ضوابط المدني	٣١
خواص المكي والمدني	٣١
المتفق عليه من المكي والمدني	٣٣
اشتمال المكي على آيات مدنية وبالعكس	٣٣
الموضوع الخامس	
أول ما نزل وآخر ما نزل	٣٥
أول ما نزل	٣٥
مقارنة بين القولين	٣٧
آخر ما نزل	٣٨
الموضوع السادس	
معرفة أسباب النزول وفوائده	٤١
فائدة معرفة سبب النزول	٤٢
طريق معرفة سبب النزول	٤٤
حكم القول في سبب النزول بغير علم	٤٥
عبارات الرواة في سبب النزول	٤٥
موقف المفسر من أسباب النزول إذا تعددت	٤٦
الموضوع السابع	

الموضوع	الصفحة
نزول القرآن منجماً	٥٢
الحكمة في نزوله منجماً	٥٣
الموضوع الثامن	
جمع القرآن وترتيبه	٥٦
الحكمة الباعثة ، مميزات الكتابة في عهد الرسول	٥٩
الجمع في عهد أبي بكر ﷺ	٦١
مميزات الجمع في عهده	٦١
جمع القرآن في عهد عثمان	٦١
الخطة التي رسمها	٦٣
مميزات هذه الجمعة	٦٣
ترتيب القرآن	٦٣
الموضوع التاسع	
نزول القرآن على سبعة أحرف	٦٦
الحكمة في نزوله على سبعة أحرف	٦٧
المراد من الأحرف السبعة	٦٨
الترجيح	٦٩
الأحرف السبعة	٦٩
الموضوع العاشر	
القراءات وأشهر القراء	٧٢
أنواع الاختلاف في القراءات	٧٣
السبب في اختلاف القراءات	٧٤
فائدة الاختلاف	٧٤
سبب الاقتصار على هذه القراءات	٧٥
بقية العشرة	٧٨

الموضوع	الصفحة
أسئلة للتمرين	٧٩
مراجع التحقيق	٨٢

هذا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

تـــم السفير في أصول التفسير

بقلم الشيخ/ عبد الحكيم محمد سرور

تحقيق

الدكتور/ عبد الرحمن بن عبد الرحمن شميله الأهدل